عبير

المنقذ

www.elromancia.com

مرمورية

روايات عبير الرومانسية

6

عبير

AL AMEEN ROMANCE **ABER** No. 6

المنقذ

صمّم ، دافيد چونسون ، أن يعيد إلى ، نانسى ستيوارت ، شركتها التى أخذها منها ، ستيف رولاند ، خطيبها السابق ، بعد أن خدعها .

لقد أحبها ، دافيد ، ولكنها كانت تخشى أن تكرر تجربة أخرى فاشلة .

فما هى الخطة المُحكمة التى وضعها ذلك الصحفى – المتخفى – البارع ، هو وصديقه الثرى ، ريتشارد ، ؟

وهل جاء هذا ، المُنقِذ ، لاستعادة شركة ، نانسى ، فقط .. أم من أجل شىء آخر ؟! .

دار الأمين طباعة .. نشر .. توزيع DAR AL AMEEN

٨ شارع أبو المعالي (خلف المعهد البريطاني) العجوزة ☎ ٣٤٧٣٦٩١

١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم

www.elromancia.com

روايات الأبيض الرومانسية

6

عبير

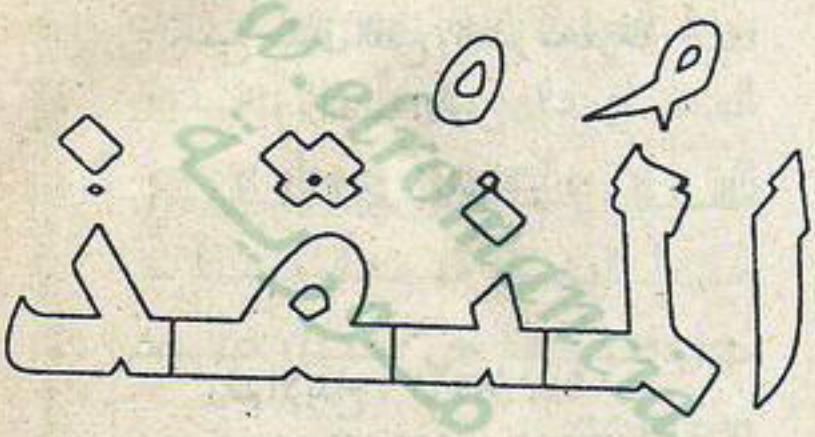

www.elrowaya.com

ماري جارفيلد

مجدي سيد عبد العزيز

الفصل الأول

بعد أن فتح « دافيد » باب الكازينو (المزدوج) الذى فى الكازينو ، وجد نفسه وسط هرج ومرج اللاعبين وبين ماكينات لعب القمار . تسود هذا المكان طاقة تسحره ، كالشد المستمر بين النصر والهزيمة .

نظر « دافيد » إلى هؤلاء الناس بفضول الطبيعيين والمتعلقين وهم يواجهون صدمات غير معقولة ، وهم يأملون أن يفوزوا بالجائزة .

أخذ المساكين الذين بددوا ثروتهم فى القمار ، ينظرون وإذ بهم يفقدون راتبهم الشهرى كله ، فأخذوا يتأملون بحقد الذين يستمرون فى تجربة حظهم بعيداً عن أى منطق .

إنه حظ السادة الأكثر تقلباً .

كان « دافيد » منغمساً فى تيار هذه الضوضاء اللذيذة التى تجرى لحسابه فى فنادق ومقاهى (كازينوهات) المدينة .

كانوا يتهامسون بأنه قد فقد ثروة كبيرة من المال فى العام الماضى فى ميدان سباق فى « فلوريدا » ، كان هذا الكم المفقود من المال يمثل ربع الميراث الذى قد تركه له جده .

كان الحصان الذى قد راهن عليه ترتيبه الخامس ، ووجد « دافيد » فى جيبه قليلاً من المال لكى يشارك فى الفندق الذى يملكه أحد أقاربه عند بحيرة « تاهوى » فى « نيفادا » ، لم يتحرك منه منذ أن عمل خادم مشرب تحت إمرة قريبه هذا .

لم تكن هذه الإشاعات صحيحة تماماً ، وكان « دافيد » يعلم بذلك ويحرضهم بنفسه على الكلام .

الحقيقة أنه فى عشر سنوات لم يحتج أبداً أن يأخذ شيئاً من ميراثه . كان الدخل الذى يكسبه من عمله الحقيقى كافياً جداً لتغطية كافة احتياجاته . أما بالنسبة للمال الذى فقده فى « فلوريدا » .. فقد كان ضئيلاً جداً لدرجة أننا لا نستطيع أن نتكلم عنه .

ابتسم « دافيد » ابتسامة عابرة . إن عمله كنادل يحقق أغراضه الذاتية .. لا أحد يمكنه أن يتخيل أن الرجل الذى يقف خلف منضدة فندق البحيرة هو فى الحقيقة صحفى تُنشر مقالاته على الدوام فى المجلات الأكثر شهرة فى البلاد .

لقد أدرك « دافيد » بسرعة فى مهنته هذه ، أن التخفى مؤهل للنجاح أفضل من العلاقات الجيدة .

لقد نشر هذه الإشاعة لصالحه حتى لا يسأله قريبه هذا كثيراً عن سبب بحثه عن عمل ، من جهة أخرى لم يتأخر « فورد » فى أن يكتشف سر قضيته ، لكنه قد وعده بكتمان سره .

دخل « دافيد » إلى عمق الصالة ، لفتت نظره جلبة بجوار مناضد لعب القمار ، تسمرت نظراته فجأة على وجه .

وفى الحال اهتز كل كيانه – كما لو أنه أمسك بموضوع مقالٍ جيد عن طريق المصادفة .

كانت الفتاة على قدر كبير من الجمال المثير . بالرغم من أن كثيرين كانوا يحجبون جزءاً كبيراً منها ، لكن « دافيد » استطاع أن يرى هيئتها بعين دقيقة .

كانت بشرتها بيضاء فاتنة ، وشفتاها متوردتين .

وكانت رموشها الكثيفة تعطى جمالاً ساحراً لعينيها .

كانت تضع قرطاً ذهبياً ينير وجهها ، وشعرها الكستنائى مرفوع لأعلى بتسريحة جميلة جداً ، تاركاً كتفيها عاريتين ، وكانت بشرتها البضة تختفى تحت ثوب أنيق مما قد أثار « دافيد » الذى أخذ يتفرّس فيه . وأخذ يسأل نفسه إذا كانت المرأة تخبئ شيئاً ما بداخل ثوبها .. وكان هذا السؤال يهمه بدرجة كبيرة جداً .

عاقت المنضدة « دافيد » من أن يرى وسطها وأرجلها لكنه بمخيلته توصل إلى أن يزيل هذا العائق ، ويخلق منها ڤينوس جميلة . كانت السيدة تمد ذراعها بحركة كلها ليونة ، ثم أشارت بأصابعها التى تحجبها الخواتم إلى موزع ورق اللعب لكى يعطيها ورقة .

لقد فازت . إنها ليست المرة الأولى ، وأدرك « دافيد » ما الشىء الذى جذب انتباهه .

لم تبد السيدة أى انفعال . لم تمسك بأوراق اللعب التى قد تراكمت عن يسارها . واكتفت بأن تضع ذراعاً فوق الآخر فوق المنضدة بلامبالاة غريبة .

عيناها لم تكشف إلا عن آبار مظلمة وغامضة ، ومع ذلك عرف « دافيد » أن هذا الثبات الذى يبدو على شخصية مثل هذه قد اعتادت الوجود على طاولات القمار ليس فى محله الطبيعى ، كانت السيدة تجلس دون اكتراث لأى شىء ، كما لو أنها لا تدرك ما تفعله . إذ لم تكن تشير إلى الموزع ، لكننا نستطيع أن نقول : إنها لا تعى ما يدور حولها .

قد يتبادر إلى أذهاننا أنها ترغب أن تخسر وهى توزع الورق من جديد . وجدها «دافيد» تلعب بطريقة سيئة جداً ، وطلبت ورقة إضافية ، ربما كان لابد لها أن تذهب إلى الفراش ، لكنها ربحت من جديد .

رفعت عينيها فجأة من فوق المنضدة ، ونظرت إلى « دافيد » ، لقد ألهبته نظرتها الساحرة إليه . شعر للوهلة الأولى بأنها تريد أن تناديه ، إنها تحتاج إليه ، فأخذ نفساً ، بينما أخذ حلم شهوانى يسرى فى كل كيانه .

لقد كانت تبدو كمتآمرة أكثر من أى تحقيق قام به .. لقد كانت تبدو أكثر خطورة أيضاً .

ومع ذلك كان على استعداد أن يغوص فى ذلك .

عبست كما لو أن أحداً يحاول أن يتذكر اسماً لمعرفة قديمة جداً . ثم وبما أنه لم يأت أى شىء على بالها ، أخذت تهز رأسها . دون أن تجد ابتسامة بسيطة . خفضت رموشها ثم عادت إلى اللعب من جديد .

شعر « دافيد » وكأنه مرفوت .

وبقى واقفاً ينظر إليها .. يأمل نظرة أخرى من الجميلة المجهولة . لكن الوقت انقضى وكان يجب عليه أن يتراجع .

تراكمت أوراق اللعب ، واستمرت السيدة فى اللعب ، بطريقة سيئة كالعادة .

أخذ ، دافيد ، يبحث بعينيه عن مرافق للسيدة . حتى تأكد من أنها وحدها لا يملكها أحد من الموجودين إلى طاولة القمار .

ثم فازت مرة أخرى . أدرك ، دافيد ، هذه المرة أنه كان على حق . أظهرت المرأة استياءها .

كان الحشد الذى يحوط بها يبدى غيظه المتزايد فى كل مرة كانت تفوز فيها السيدة .

لقد ربحت آلاف الدولارات ، مما يظهر تقدماً ملحوظاً بالمقارنة للكومة التى كانت بجوارها عند قدوم ، دافيد ، .

وقد أوحى ذلك بسهولة فوزها مرة أخرى ، لكن السيدة قامت فجأة وتركت طاولة اللعب .

كاد ، دافيد ، يقفز من مكانه عندما رأى مدير القمار يشير إلى عامل بالكازينو . كادوا يفتكون بالسيدة الفائزة ، لكن ، دافيد ، قال فى نفسه إنه سيقضى عليهم .

لم يستطع ، دافيد ، أن يصل إلى المرأة بالرغم من أنه أسرع فى خطاه ، لقد كانت تسير بسرعة مذهلة وتلحق بها مجموعة كبيرة من

الناس . ودون أن تبعد عن نظره ، أخذ ، دافيد ، إلى كل واحد بجوار طاولة اللعب .

على ما يبدو أنها لم تكن على عجل لكنها كانت تريد فقط أن تبتعد عن طاولة اللعب لذلك أسرعت الخطى .

فدخلت فى ممر مفروش بالقطيفة الحمراء واختفت وراء ستار خشن، فأسرع ، دافيد ، ليلحق بها ، ووجدها فى ، مشرب ، أنيق ، بعيداً عن اللاعبين ، وبعيداً عن صياح الفرحة بالفوز أو نحيب الخاسرين الذين كانوا فى الصالة الكبيرة . أغمض ، دافيد ، عينيه قليلاً حتى ينظر جيداً هذه الظلال .

من الناحية الأخرى للمشرب ، كانت السيدة تجلس على مقعد مرتفع بدون ظهر ولا مساند . شعر ، دافيد ، بأن الستارة تنزاح من ورائه ، فاستدار فوجد عاملاً يحمل جهاز ، توكى ووكى ، فى فمه . لقد وجدت الهاربة ، لن نتوانى فى أن نحضر إليها ما قد ربحته ، وهذا لا يحدث بترك زملائها من اللاعبين هكذا على طاولة القمار ، اجتاز ، دافيد ، الحجرة وعيناه تنظران إلى ساقيها القويتين ، ثم اعتلى المقعد الذى يوجد إلى جوارها .

وسألت بصوت أجش ولطيف فى نفس الوقت ، وهى تفتح حقيبتها التى فى يدها .

فقال لها النادل : كما تريدين من عشرين إلى مائتى دولار ...

جحظت عيناها من فرط دهشتها ، ثم أخذت نفساً عميقاً قبل أن تغمس أصابعها فى حافظتها .

دهش « دافيد » جداً وانفتحت عيناه بذهول حينما رآها تضع ورقتين بمائة دولار على طاولة الشرب ثم أغلقت حقيبتها ، ولم تكترث بالوجوه التى حولها .

لقد اختار « دافيد » هذا المقعد إلى جوارها ليكون ظاهراً لها خاصةً وأن المشرب كان خالياً .

وقال النادل: لدينا نوعيات مختلفة. فاغتنم «دافيد» الفرصة وقال : الشراب .

وكان يلاحظ رد فعل السيدة بدقة .. لقد تصلب ظهرها ، وأمسكت بطرف طاولة الشرب ، وعندما التفتت إليه ، تلاشى كل تعبير ممكن من صفحة وجهه .

وقد اختفى ذهوله الذى قد سببه له تدخله فى الحديث معهما .

لم يستطع سوى أن ينظر إلى هذه السيدة بإعجاب .

كان يجب عليها أن تعرف أنه قد تتبعها منذ كانت فى الكازينو ، لكنها لم تظهر أى اهتمام ، وكانت تنتظر وهى تنظر إليه .

ثم قال : إن « الشراب يستحق هاتين الورقتين الماليتين ، أخذت السيدة تنظر إلى الدولارات التى تمدها نحو النادل الذى كان ينتظر أن تأمره بما تريده .

وهزت له رأسها قبل أن تلتفت إلى « دافيد » ، الذى كان يعلم أن لا يمكن أن يكون ثمناً لهذا الجمال ، حتى لو كانت خبراته قد أعطته انطباعاً بأن ملامح وجهه الصلبة لا تجذب النساء نحوه ، كان لون شعرها كستنائياً كلون عينيها .

يبدو أن الجميلة المجهولة لا تعرفه .

توقفت نظراتها لحظة عند آثار جرح قديم من طرف عينه اليمنى حتى أعلى خده ، لكنها لم تبدِ أى تعليق على هذا .

كانت علامة هذا الجرح المتبقية ترعب الكثير من النساء وكانت تسحر أخريات ، وقد اعتاد « دافيد » أسئلتهن واستفساراتهن ، أو على حد افتراضاتهن الرومانسية المتعلقة بأصل هذه العلامة .

لكن هذه هى المرة الأولى التى يرى فيها امرأة لا تهتم بذلك وكان ذلك يسره .

كانت عينا السيدة المجهولة تنغمس فى عينيه .

قد قرأ فى عينيها دعوة ما ، لكنها لم تطلب شيئاً ، ولا يوجد أمل لذلك .

فسألها عن حالها ، وإذا كانت تحتاجه فى شىء ، لكنها لم ترد أن تقول أى شىء ...

لكنها قالت لـه أخيراً بنبرة متقززة لسيدة ترد على شخص مزعج : إذا كان لديك شىء من الحكمة ، لأسرعت بالفرار من أمام وجهى .

– ولماذا أفعل ذلك ؟

واستدار ناحيتها وهو يتكئ بمرفقيه على طاولة الشرب ، دون إظهار أى نوع من العداوة ، لكن بكل حرية ، جعلها تفهم أنه لن يتحرك من مكانه .

أخذت تتفرس فيه من أعلى رأسه حتى أخمص قدميه ، كما لو أنها تريد أن تدرك معنى قوله هذا . وظهرت ابتسامة على وجهها .

لكى أكون مهذبة بصورة كاملة ، إننى ذات مزاج قتالى ، وأنت رجل تبدو خطيراً ، إن ظهر ذلك عليك ..

– هيا إننى ذو شخصية صلبة .

– فقالت له بصوت رقيق .

إن هذا لا يقلل من خطورتك .

– إذن فلنقل بكل بساطة : إننى إنسان يحب أن يغوص فى الصعاب .

– إذا قلت لك إننى فى شهر العسل ؟

أخذته هذه الكلمات الهادئة (على غرّة) .

فاجأته هذه الكلمات الهادئة . كم كان إحباطه كبيراً حتى لم يستطع أن يحجبه ، ونظر إلى السيدة متسائلاً فى نفسه ما السبب الذى يجعل زوجها يتركها وحدها فى هذا الكازينو ، على أى حال ، لا يبدأ الزواج بتنبؤات حسنة .

شعر « دافيد » فجأة بأنه من الأفضل له أن يرحل قبل أن يصبح مثاراً للسخرية ، لكنه لاحظ أن خاتم الزواج لا يوجد بأصبعها .

فقال لها : « أنت لست متزوجة » .

– كنت على وشك أن أضعه ، فى أصبعى .

– لم تكن حفلة الزواج كما توقعت ؟

هزّت رأسها .

– كنت ثائرة كالمجنونة لأن الزواج لم يتم .

– كنت بلهاء .. أعتقد ذلك .

ولكى أوحى لنفسى أن « ستيف » كان يحبنى .

لكن فى أعماقى ، كنت أشعر بأننى لم أنل سوى ما أستحقه .

فأجابها ، دافيد ، قائلاً : إن ، ستيف ، هذا غبى :

– لقد فهمت الآن لماذا لم يصطحبنى أحد هذا المساء .

إننى لا أزال ثائرة لتركه لى ..

– أدرك ، دافيد ، أن هناك العديد من الأشياء التى أفسدت ارتباطهما لكنه فضّل أن يكتفى الآن بما تشرحه له .

ثم قال : أنا لا أغيّر رأيى ، أنا دائماً على استعداد أن أخوض المشقات ..

تبدو غير قادرة على أن تقرر إذا كان يجب عليها أن تشعر بكدر أم تملق لإلحاحه هذا ، ولكى ينتهى الأمر ، قرأ ، دافيد ، فى عينيها ما يدل على استسلامها .

لكنها لم تترك مكانها ..

ولم تعط له على الأقل كلمة تشجيع ، وظلّت جالسة ، تضع يداً على طاولة الشراب وأخرى على فخذها وبقيت تنتظر .

– لقد تابعتك منذ كنت فى الكازينو .

– أجابته مباشرة : أعرف ذلك ، لكن دون أن تدعه يخمّن إذا كان ذلك قد بدا لها شيئاً يُهمها .

كان يحتاج أن تقول له : إن هذه النظرة القوية ، وهذا النداء الذى كان فى الكازينو لم يكن فقط ثمرة خياله .

– قولى لى ..

– ماذا إذن ؟

– لقد نظرت إلىّ فى الكازينو ..

فابتسمت ابتسامة ساحرة أعطت وزناً لكبريائها الشديد .

– ثم قالت : ، وماذا بعد ذلك ، ؟

– عم كنت تبحثين ؟

– من الذى قال لك : إننى أبحث عن شىء ؟

فهز رأسه منتظراً أن تعاود الابتسامة له لكى يقول لها :

– فيم كنت تفكرين ؟.

– فهمست قائلة: ، لا أعرف ، هذا شىء لا أستطيع أن أعبّر عنه ، لقد رفعت عينىّ ؛ لأننى علمت أنك هناك .

– كنت تعلمين ذلك قبل أن ترينى .

– فأومأت برأسها وقالت :

– وقد شعرت ..

وانطفأ صوتها تماماً ، وامتلأت عيناها بالانفعالات الجيّاشة .

– ثم سألها وهو ينحنى عليها قليلاً : بماذا شعرت فنظرت إليه بدهشة وقالت :

– أعتقد أننى شعرت بنفس الشىء الذى قد شعرت به أنت .

فابتسم « دافيد » ، لم يخدعه إحساسه الداخلى . كان فى هذه المرة شىء غريب قد أثار حواسه بطريقة لم تحدث له من قبل .

أتى النادل بزجاجة الشراب وكأسين طويلتين . ألقت السيدة نظرة شاردة على الكأسين اللتين قدموهما لها ، ثم نظرت إلى « دافيد » ، بينما قام النادل بخدمته .

– ثم بادرت بالقول : هذه هى الفرصة الأخيرة ، أؤكد لك أننى لن أكون مرافقة خيالية لك هذا المساء .

أمسك « دافيد » بالكأسين ومد أحدهما إلى السيدة .

فارتعشت يدها عندما لمست يد « دافيد » وهى تمسك بالكأس التى يقدمها لها .

التقت نظراتهما وقتاً طويلاً، ثم أخذ كلٌ منهما شريحة من الخبز .

وأخذ « دافيد » رشفة من الشراب بتذوق ، لم يدعه أحد أن يشرب معه منذ وقت طويل .

ثم سألها بغلظة : هل يخيفك هذا ؟

– ما هو إذن ؟

– أن تأتى إلى هنا فى مثل هذا الوقت .

فرفعت حاجبيها ضاحكة، ثم قالت: إنك تعرف كيف تتحدث مع النساء . هذا شىء يثير الاهتمام أكثر من أن تتكلم عم يمكن أن يحدث لنا .. فأجابها قائلاً : أستطيع أن أتكلّم فى هذا أيضاً .

لكن ذلك سيكون محدوداً كثيراً .

وأجابته قائلة : أوه ! هذا اقتراح له وجاهته ، كما لو أنه يتفق مع مبارزة شفهية .

وهذا نادراً ما يكون .

فى الحقيقة هذا شىء نادر جداً ، لكن هل يتعلّق الأمر حقيقة باقتراح ؟

ربما لا يكون هذا شيئاً يسيراً .

– حسناً ، قد سحبت ما قلته . ما هو إذن الشىء الذى يمكن أن يحدث لنا ؟

– فقال لها مصححاً: لا الذى يمكن ، بل الذى يحدث الآن بيننا ، لا أستطيع أن أقول لك أكثر من ذلك لا أفهم نفسى جيداً .

– ما الذى جعلك تعتقد أن ذلك يهمنى ؟

– فقال لها مبتسماً : إنه وجودك حتى الآن هنا .

– ألا يضايقك خروجى من صدمة عاطفية كهذه فى هذه الأحيان ؟

– ربما تكونين غاضبة ، لكن قلبك غير منكسر وأنت معجبة بى أكثر من إعجابى بك . أنت لا تستطيعين أن تجهلى هذه الحقيقة .

فاحمرّ وجهها ، مد « دافيد » يده ولمس بإبهامه خدّها ، كانت ترتجف لكنها لم تتحرك .

سحب « دافيد » يده عندما رأى المرأة تبلل شفتيها بطرف لسانها ، كان يعرف أنه لابد أن يتريث فى كل شىء ، أيضاً كان يبدو فى عينى السيدة إعياء عميق . ولكنها بقيت تحت أنظاره .

ومع ذلك ، وضعت يدها على المكان الذى لمسه « دافيد » وبدا فى عينيها قليل من الحيرة ، قد غطاه نوع من الارتياب .

أما من جهة « دافيد » فقد أراد أن يستخرج ما بداخلها ، لكنّه لم يقل شيئاً لأن ذلك شىء يجب عليها أن تكتشفه بنفسها .

إنه لم يصبها بأقل مكروه .

لقد كانت تحتاج إلى وقت ، وقد كان على استعداد لذلك ورأى بطرف عينيه أن الرجل الذى كان يحمل جهاز « التوكى ووكى » قد جاء برفقته شخص آخر ، ويتّجهان ناحيتهما .

– سألها « دافيد » : هل لديك أى فكرة عن الذى ستفعلينه بالمبلغ الصغير المدفون الذى قد ربحته على طاولة اللعب ؟

فرفعت كتفيها وأخذت رشفة من الشراب .

– آنستى ؟

فقفزت بسرعة من مكانها ، ثم نظرت إلى عاملى الكازينو .

– ماذا تريدان منى ؟

– لقد تركت أوراقك المالية على طاولة اللعب .

– وماذا إذن ؟

– فقال لها أحدهما وهو يضع أصبعه تحت ياقة قميصه :

لم تعتد الزّبائن ترك آلاف من الدولارات وراءهم .

– ومع ذلك قد فعلت هذا .

– لكن لماذا ؟

– فقالت له بجرأة : لأننى لا أريد شيئاً من هذا المال .

هل هذا واضح أم لا ؟

– قال النادل .

لم يحدث شىء مثل هذا عندنا من قبل .

وقبل أن تحتج المرأة ، أخرج من جيب سترته مجموعة من الأوراق المالية قد وضعها على طاولة الشراب .

– لقد استبدلتها لك . أربعة آلاف وخمسمائة وستون دولاراً .

– لا أريدها .

– تستطيعين أن تعطيها بقشيشاً لمدير القمار إذا أردت .

– قد قلت لك إننى لا أريدها .

– توجد مشارب لأشياء فاخرة جداً فى الصالة حيث تستطيعين أن تنفقى هذا المبلغ فى دقائق معدودة .

– لا أريدها .

– كما أنك تستطيعين أن تخسريها على طاولة لعب .

– لا أريدها .. لا أريدها .

فقال لها النادل .

– فلتقضى وقتاً طيباً عندنا ، ثم استدار دون أن ينتظر أى إجابة أخــرى .

لكن رفيقه بدا متردداً بضع ثوان ، كما لو أنه يريد أن يقترح عليها طريقة أفضل تنفق بها أموالها لكنه قد تراجع .

وهو يدرك أن هذا ليس من اختصاصه . ثم اتجه بدوره ناحية باب الخروج وهو يتمنى لهذه السيدة حظاً سعيداً .

وتمتمت المرأة وهى تنظر إلى الأوراق المالية قائلة :

– إن كل هذا يثير الضحك ، ألا يوجد نشال فى الصالة ؟

– ثم أعطاها ، دافيد ، كأساً أخرى من الشراب .

ماذا يستطيع أن يفعله إذا كانت تريد أن تلقى المال من النافذة ؟ بعد ذلك كله ، يجب أن تجد طرقاً متعددة ، ومع ذلك قد تملكه الفضول .

– لماذا قد رحلت قبل أن تأخذى ما ربحته ؟

فأبدت علامة استيائها .

– أحاول أن أخسر .

– هذا واضح ، ومن جهة أخرى كان هذا شيئاً قد لفت نظرى نحوك ، كنت تبدين متضايقة عند فوزك .

ليس من الغريب أن نرى شخصاً يخسر ، لكن أن نرى رابحاً حزيناً ، فهذا حدث غريب .

أخذت المرأة تلعب فى مؤخرة كأسها – التى كانت تمسك بها بأصبعين .

– قد لعبت القمار كثيراً من قبل ، لكن هذه هى المرة الأولى التى أواجه فيها هذه المشكلة .

– أنا لا أفهم ؟ لماذا تلعبين ، إذا كنت لا تريدين أن تفوزى ؟

– وإذا قلت لك : إننى كنت أريد أن أدخل البيت وجيوبى فارغة ؟

– لماذا لا تنفقين هذا المال كما اقترح عليك عامل الكازينو ؟

– لم أرد أن أحمل أشياءً تذكرنى بيوم الإجازة هذا .

– فقال « دافيد » : أوه ، لقد فهمت ، إنها أموال شهر العسل .. فهزت رأسها .

لأجل هذا السبب قد تركتها ، وأريد أن أتخلص منها حتى آخر فلس .

– كنوع من التقنية ...

دخل إلى المشرب مجموعة كبيرة من النّاس ، وما إن جلسوا حتى ملأ الضجيج المشرب . وأراد « دافيد » أن يصطحب المرأة إلى العشاء فى مكان هادئ ورومانسى ..

وقال لها :

– ألا ترين أنه قد حان الوقت لكى نتعارف ؟

– هل هذا أمر ضرورى ؟

– لم أعتد أن أشرب مع أشخاص لا أعرفهم .

– فابتسمت ثم قالت له :

– أدعى « نانسى ستيوارت » .

فقال لها محيياً :

أدعى « دافيد جونسون » ، وأنا فى خدمتك .

كانت تجلس غير مستريحة على هذا المقعد المرتفع ، ولما أرادت أن تغير وضعها ، اصطدمت رجلها بفخذ « دافيد » ، وشعرت كما لو أنها قد صعقت ، وحينما رفع نظره إليها ، أدرك أنها تستطيع أن تقرأ فى عينيه ما يرغب فيه .

تلاشى من على صفحة المرأة شعورها بالوحدة وحل محله شعور بالإثارة والتعجب ، كان ينظر إليها ، مفتوناً بها فى حين أنه أخذ يتنفس بسرعة شديدة .

وحينما أرادت أن تبعد رجلها عنه ، منعها بيد ثابتة .

– وهمس بصوت أجش قائلاً : لا تتحركى ، إلا إذا كان ذلك يخيفك .

– فتمتمت قائلة : « لا أخاف شيئاً » .

لم يصدقها ، لكنها لم تتحرك لحظات ، ثم اعتذرت وقامت لتذهب إلى الحمام .

لم ترجع أبداً ، لكن « دافيد » لم يأمل أبداً رجوعها .

ومع ذلك انتظر مدة نصف الساعة ، ثم نهض بدوره . وضع أربعة الآلاف والخمسمائة دولار فى جيبه وترك الستين الباقية بقشيشاً .

وقرر وهو يجتاز الكازينو تجاه باب الخروج قائلاً : شهر واحد . يكفى تماماً هذه المرأة لأن تشفى من كبريائها ومن أحاسيسها المجروحة ، ستكون أكثر صلابة كما ستكون أكثر استقراراً فى لقائهما المقبل وأكثر استجابة لما تشعر به وسوف تثق به أكثر .

كان « دافيد » يعرف أنه يحتاج لأكثر من شهر لكى ينظم حياته . كان يجب عليه أن يهتم بنقل منزله ، ثم بهذا المقال عن المنقبين عن الذهب فى جبال « نيڤادا » .

يجب أن يقدم تحقيقه الصحفى فى خلال بضعة أشهر ، لكنه بدا متعقلاً بأن يتخلص من ذلك حتى يركز كل كيانه بعد ذلك على « نانسى ستيوارت » .

إن كل ما عليه أن يفعله هو أن يتفقد آثارها ، وأن يعرف ما الذى يثير اهتمامها ، كل شىء ما عدا ارتباطاتها الفاشلة .

رفع « دافيد » ياقة سترته حتى يواجه البرد الشديد بالخارج ، قبل أن يغادر الكازينو ، ثم اتجه بعد ذلك إلى الفندق .

شهر واحد فقط ، إنها ليست الأبدية . لكن ..

* * *

الفصل الثانى

أغلقت « نانسى » باب شقتها ونزلت من السلم الخارجى مسرعة تجاه ساحة الانتظار . ثم وضعت يدها على مقود سيارتها الحمراء العتيقة ، ثم أخذت تصلى ..

كانت « للشيفرولية » عادة سيئة وهى أن تترك صاحبها معلقاً بينما يكون فى أمس الحاجة إليها .

كانت « نانسى » تعرف أسماء كل سائقى السيارات الأجرة فى «لاركسپور » ، وهى ضيعة كبيرة فى شمال كاليفورنيا .

أخذت السيارة تخرج أصواتاً مزعجة ومتقطعة حين حاولت «نانسى» أن تديرها لكن دون أن تتحرك .

لكن « نانسى » لم تيأس معتقدة أن المحاولة الأولى غالباً ما تكون غير مكتملة . فحاولت من جديد ، وسمعت صوت انفجار وعاد المحرك إلى الحياة .

غادرت « نانسى » ساحة الانتظار دون أن تضيع الوقت ، وبعد دقيقتين خرجت السيارة إلى الطريق العام فى الاتجاه إلى « سان رفايل » ، حيث كانت « نانسى » على موعد مع محاميها .

كان «فيكتور ستانلى» ، زوج إحدى فضلى صديقاتها فى الجامعة، عضواً فى نقابة المحامين المحلية . لقد كان مستشاراً لـ « نانسى » منذ أن كانت محلات « حلوى أماندين » شركة مكونة من شخصين ومقرها هو مطبخ السيدة الشابة « نانسى » .. أما اليوم فقد أصبحت تقوم على أكثر من ثلاثين عاملاً وتتمتع بشهرة تمتد حتى الساحل الشرقى . إن محلات « حلوى أماندين » . من أكبر عملاء « ستانلى » أو بالأحرى كانت أكبر عملائه .

قالت «نانسى» بضجر وقد تعدتها شاحنة تمضى بأقصى سرعة .

– لابد وأن أترك كل هذا جانباً .

كانت « نانسى » المالكة الوحيدة لمتجر حلوى يقدم متنوعات كبيرة من « البيتى فور » وحلويات أخرى . ثم قررت مؤخراً أن تدخل شريكاً فى شركة تغذية كبيرة ذات إنتاج كثير التنوع . لقد حلمت السيدة دائماً بالتوسُّع، حقيقة ، كان المشروع ينص على أن تحتفظ « نانسى » بالإدارة حتى تحافظ على الشهرة التى حققتها لمحلات « حلوى أماندين » بينما يقوم « المطبخ التقليدى » بإقامة أفرع عديدة للمحل فى أنحاء المدينة .

ذلك كان الوجه المضىء للأمور.. أما الوجه المظلم، أن « المطبخ التقليدى » مارس حقه فى تغيير فريق الإدارة .

ولم يدرج اسم « نانسى » فى قائمة أسماء أعضاء الإدارة .

فى الحقيقة ، كانت قد أقصيت بكل وضوح وبساطة من إدارة محلات « حلوى أماندين » . ويرجع تسريحها من العمل إلى شهر تقريباً .

لقد طلبت « نانسى » بالتأكيد من « فيكتور » أن يبذل قصارى جهده ليستعيد شركتها . كان وضع القضية سيئاً . حتى لو كانت «نانسى» تضع ثقتها كاملة بمحاميها .

للأسف ، كل المؤشرات الراهنة لا تنبئ بأى تقدم .. رفضت «نانسى» أن تصدق أن « فيكتور » لن يفلح فى تخليصها من هذا المأزق . لكنها كانت تعرف أيضاً أنها لا تستطيع الاعتماد إلا على نفسها.. ألم تتجاهل سابقاً نصائح محاميها لتتخذ فى النهاية أسوأ قرار فى حياتها ؟

مما يزيد أسفها ، أنها قد ارتكبت خطأ جديداً عندما فرّت من هذا الرجل الغامض والجذاب بنفس الدرجة ، الذى قابلته فى كازينو «تاهوى» . كانت تود لو ترجع إلى هناك ، وتبدأ من جديد .. تبقى معه . لكن الحظ لا يواتى المرء مرتين .

مرت أربعة أسابيع منذ أن مضت خلسة من هذا المشرب ، وقد ندمت على سلوكها بشكل كاف انعكاسا لما حدث مع « ستيف » ،

لكنها لا يمكنها أن تلوم إلا نفسها . كان من السهل الوصول إلى مكتب « فيكتور » . أوقفت سيارتها الشيفروليه أمام العمارة . أوقفت المحرك وقد انتابها قليل من القلق وهى تعلم أن السيارة ربما لن تعمل على الفور .

تبينت « نانسى » أنها تجهل حتى مهنة « دافيد جونسون » .

ولن تعرف أبداً دون شك ، كيف يحيا حياته ..

دخلت « نانسى » فى المبنى ذى الطوب الأحمر الذى كان به مكتب « فيكتور » ومكاتب شركائه لم تستطع أن تصبر وتنتظر لتسمع آخر الأخبار .

قالت « نانسى » للرجل الجالس خلف مكتبه ذى الشعر الأسود :

لابد وأن هناك شيئاً لم تحاولوا أن تعرفوه .

أنا ليست لدى أى رغبة فى أن أترك « ستيف » يسرق منى محلات « حلوى أماندين » دون أن أقاومه .

فأجابها « فيكتور » بصلابة : لقد قلت لك قبل أن ترحلى إلى «تاهوى» إن الأمور لا تسير على ما يرام . لقد قرأت ما كتب فى العقد عشرات المرات ، ولم أر شيئاً جديداً .

لا توجد هناك أية ثغرة . لقد فقدت شركتك ، ومحطة الخيل ..

– فصاحت المرأة فيه : « لابد أن تكون هناك طريقة » .

– لا يوجد ما هو شرعى .

– تمتمت بصوت ملىء بالحسرة « إننى أنا التى أنشأت محلات «حلوى أماندين» .

– دعك من هذا ، يا « نانسى » ، لقد انتهى كل شىء .

– فقالت متذمرة : « لا قضية » .

– لا داعى لأن أقدم لك خدماتى كمحام مادمت لا تتبعين نصائحى .

– فقالت له « نانسى » : كنت أعلم تماماً أن ذلك سوف يأتى .

– ماذا إذن ؟!

– قد قلت لك ذلك .. منذ بداية هذا الحدث ، كنت تحلم بأن ترميه فى وجهى .

كان « فيكتور » يلعب بطرف قطاعة الورق وهو يهز رأسه .

إن كل ذلك لا ينفع بشىء يا « نانسى » ، لو كنت قد استمعت إلى كلامى ، لما كنت اليوم فى هذا الموقف .

– إننى يا « فيكتور » لم أستمع حتى إلى نفسى .

كنت أعرف أنه كان يجب على ألا أوقع .

تغيرت ملامح المحامى وقال بطريقة عابرة :

، قد كنت عاشقة ، .

فصححت كلامه قائلة : كنت أعتقد أنى كذلك ، إذا كنت قد عشقت ، ستيف ، حقاً ، لكنت قد دمرت تماماً ، لكنى أهتم بما قد سرقنى . الواقع أنه قد استغل سذاجتى لكى يسلبنى شركتى .

– لا تصرحى بذلك ، يستطيعون أن يتهموك بتهمة ، التشنيع ، .

كان هناك رنين ضعيف ورفع المحامى سماعة الهاتف .

كانت ، نانسى ، تنتظر دون صبر بينما كان ، فيكتور ، يستمع ، وسماعة الهاتف فوق أذنه ، وعاهدت نفسها بألا تترك المكتب دون أن تقنع المحامى بأن يحاول مرة أخرى ، فجأة ، لاحظت أن «فيكتور» ينظر إليها بدهشة .

فرفعت حاجب عينها متسائلة وسمعته يقول :

حسناً يا ، مارچى ، دعيه يدخل .

– سألته ، نانسى ، فور وضعه سماعة الهاتف : ، من هذا ، ؟

– عليك أنت أن تخبرينى .

استندت ، نانسى ، على ظهر المقعد فى الوقت الذى انفتح فيه الباب ، وأخذت السكرتيرة جانباً لكى تخلى الطريق لكى يدخل الرجل الذى قد توقف عند مدخل الحجرة .

أخذت ، نانسى ، تفتح وتغلق عينيها كما لو أنها تريد أن تطرد وسواساً . ، دافيد ، ، دافيد چونسون ، بشحمه وعظامه .. لقد كان يرتدى بنطلوناً من قماش ، الچينز ، وقميصاً ذا لونٍ نحاسى ، ورابطة عنق مربوطة فوق ياقة غير مزررة ، وكان يضع يديه فى جيبى بنطلونه الخلفيين .

أدركت ، نانسى ، فى الحال أنه شخص وفى . كان مغلق الفم . وبريق يخرج من أعماق عينيه الكستنائيتين ، وعلامة هذا الجرح القديم الرفيع عند طرف عينه ..

وبادر بالقول : إنى آسف على فرض نفسى عليك ، يا ، نانسى ،، لقد قلت فى نفسى : إنه هكذا سوف أكسب الوقت ، والوقت هو المال..

نظرت إليه ، نانسى ، دون أن تفهم ما يقوله . ومع ذلك لقد كانت تثق بأن وجوده هذا المفاجئ سوف يهدئ من روعها .

وقالت له بصوت منخفض : ، ماذا تفعل هنا ، ؟ .

– لقد جئت لكى أقدّم لك المساعدة .

ثم تقدم ، ووضع يده على كتف المرأة ، وقدم اليد الأخرى إلى «دافيد ، الذى وقف عند دخول هذا الزائر ، أخذ يتابع ما يجرى بكل فضول. أنا «جونسون» ، صديق لـ «نانسى» ، أخيراً ، على أية حال ..

فصافحة ، فيكتور ، بشدة .

فأعاد القول : على أية حال ؟

– فلنقل : إننى صديق منذ وقت قصير ، لقد تقابلنا فى «تاهوى» .

– وأخرج ، دافيد ، ورقة من جيبه أعطاها إلى المحامى الذى ألقى عليها نظرة عابرة .

– ثم قال وهو ينظر إلى ، دافيد ، وكأنه قد ربح شيئاً :

هذا شىء مدهش .

– فسألته ، نانسى ، التى استاءت من أن تكون خارج مجرى حديثهما : بماذا يتعلّق الأمر ؟

– هذه قائمة لأسماء أشخاص محليين . ومع ذلك يوجد اسم لشخص لا أعرفه .

ثم سألته المرأة وهى تشد أحد أكمام قميص ، دافيد جونسون ، :

– ما معنى ذلك ؟

– أنت بحاجة إلى يد مساعدة قوية . أود أن أساعدك لكى تسترجعى شركة ، حلوى أماندين ، .

فرفعت حاجبيها دهشة .

– كيف علمت ما يجرى ؟ إننى لم أرو لك شيئاً فى ، تاهوى ، .

– لم أكن فى احتياج إلى ذلك . كان واضحاً أن الأمر لا يتعلق فقط بفشل عاطفى .

– هذا لا يفسر لى كيف علمت ما أنا فيه .

– فقال لها بصوت واضح :

سوف أروى لك كل شىء بعد ذلك . لكن الآن ، يكفيك بأن تصدقى بأننى أرغب فى أن أساعدك .

– كيف أثق بك أكثر من هذا النصّاب الذى أخذ منى شركة «حلوى أماندين» .

خفض ، دافيد جونسون ، عينيه خجلاً ، وأدركت المرأة أنها تشتمه .

– فقال لها : أنا لا أقول لك ألا تحذرى .

ولأجل هذا قد أحضرت هذه القائمة . هذه مراجع ..

إن أول اسم هو لأحد أقاربى ، دانيال جاكسون ، وتستطيعين أن تتحققى من قرابتى له .

فسأله ، ڤيكتور ، قائلاً : والآخرون ؟ .

– إنهم أصدقاء ، أو أشخاص على علاقة عمل مع قريبى .

وفى حالة عدم معرفتكم لقريبى هذا ، فقد رأيت أن أعطيكم قائمة أسماء هؤلاء الأشخاص الذين يدلّونكم عليه ، إنهم أشخاص معروفون وجديرون بالاحترام فى هذه المدينة .

هز « فيكتور » رأسه ، ومد يده وأعطى عميلته الورقة .

فقالت : كل هذا أمر مستبعد ، أنا لا أعرفك جيداً وأنت تحاول أن تورط نفسك فى مسألة تبدو ذات أهمية كبرى بالنسبة لى .

فرفع ذقنها بسبابته وقال لها : إذا لم يكن الأمر مهماً بالنسبة لى أيضاً لما تدخلت فى لقائكما هذا .

– لكن كيف ؟ ولماذا ؟

– فلننس التفاصيل . الآن لابد أن تثقى بى .

لن نستطيع أن نصل إلى شىء مادمت لا تصدقين ما أقوله لك .

ثم نظر فى ساعة يده .

– سأنتظرك فى الصالة . بعد أن تكونى قد انتهيت من النظر فى تحقيقاتك عنى ، تستطيعين أن تكونى رأياً أفضل عن المساعدة التى سأقدمها لك . وسأنتظر مدة ساعة حتى تنادى علىّ إذا رغبت فى ذلك .

ثم حيا المحامى واستدار وخرج من الحجرة .

قال « فيكتور » وهو ينتظر قرار عميلته : ما رأيك ؟

بالنسبة لى أنا لا أزال فى حيرة ، لكنه جذبنى حين اقترب منى .

فنظرت إليه بوقاحة .

– إن هذا الرجل قد تدخل فى حديث شخصى . ألا ترى يا «فيكتور» أن ذلك اعتداد بالنفس ؟

– فقال لها « فيكتور » وهو يرفع كتفيه : ربما لكنه على حق .. ربما فى أمر واحد أو اثنين .

– ما هما ؟

– أنت فى حاجة إلى مساعدته ، وليس لديك الوقت الكافى ..

– لقد طلبت منى الآن أن أنسى كل شىء .

– كان ذلك قبل أن أتعرف على صديقك .

– ما الذى يجعلك تعتقد أنه سيفيدنى بشىء ؟

فابتسم قائلاً : إحساسى الداخلى ، أستطيع الآن ، إذا لم يكن لديك أى اعتراض أن أتصل ببعض الأشخاص فى هذه القائمة . ستكون لدينا إجابات واضحة فى الحال .

كانت « نانسى » تستطيع أن تحتج ، ومع ذلك ، أرجعت القائمة إلى محاميها ، وهى تدرك تماماً المعاناة التى تغوص فيها .

المعاناة التى تخوضها مع قلبها أكثر من التى مع شركتها .. كان « دافيد جونسون » وحيداً فى صالة الانتظار ، يقف أمام النافذة .

كان الموكيت يخفى سمع صوت خطوات « نانسى » ، لكن «دافيد جونسون » استدار كما لو أنه قد شعر بوجودها .

فقال لها :

ماذا إذن ؟ ماذا قررت ؟

فأخذت نفسا عميقاً .

– يقول ، فيكتور ستانلى ، إننا نستطيع أن نثق بك .

– إن هذا لا يكفى . الأهم هو أن أعرف إذا كنت أنت تثقين بى أم لا . لم تجبه ، نانسى ، على الفور . لقد اتصل محاميها ببعض الأشخاص الذين كتب ، دافيد ، أسماءهم فى القائمة .

كلهم قد شهدوا بأمانة قريب ، دافيد ، ، من ناحية عمله وشخصيته على السواء . ونتيجة لما استعلمه ، فيكتور ، فقد اتصل بالمدعو ، دانيال جاكسون ، ، ودون أن يتكلم معه فى كثير من التفاصيل ، فقد ضمن قريبه ، دافيد ، الذى وصفه بأنه رجل شريف له فائدته دائماً فى الأزمات . ومع ذلك بقيت مهنته غامضة .

نظر ، فيكتور ، فى المراجع التى قد قدمها ، دافيد ، بنوع من الجدية ، و، نانسى ، من جهتها ، كانت تتعجب لما يجرى ، لكن محاميها كان مسروراً ، إن الأمر قد تقدم من وجهة نظره .

فى الواقع ، إن هذا البحث الصغير لم يفعل شيئاً سوى أن أكد لها إحساسها الداخلى . كانت ، نانسى ، تثق بـ ، دافيد ، منذ البداية لكن فطرتها السليمة هى التى أثارت فيها هذا الحرص ، إن قلبها لم يجعلها تقع فى أخطاء شنيعة مع ، ستيف ، .

وقالت له أخيراً : أنا أثق بك .

فابتسم لها مبتهجاً .

– إذن بماذا ننهى هذا اللقاء ؟

يجب على محاميك أن يأخذ مواعيد أخرى .

ثم قبل أنفها قبل أن يقودها إلى الممر .

– لقد قبلها ! إنها لم تكن فى الحقيقة القبلة المثيرة والجذابة التى يتحدثون عنها فى الروايات الغرامية ، لكنها كانت رغماً عن أى شىء ، كانت المرأة مضطربة للغاية حتى إنها لم تستطع أن تخفى احمرار وجهها .. وقد لاحظ ، دافيد ، هذا بينما كان يدخل مكتب «فيكتور» .

وقال لها : ذكرينى بأن أتحدث معك بخصوص احمرار وجهك هذا ، حينما نكون وحدنا بالمنزل .

فقالت له بصوت منخفض : ماذا ؟

– حينما نبقى وحدنا ، يا عزيزتى .

ثم هز رأسه مشيراً إليها بأنه يوجد شخص آخر فى الحجرة ، وأخذ ، فيكتور ، يحمحم من خلف مكتبه .

وقال : اعتقدت أنكما لم تتقابلا سوى مرة واحدة فى ، تاهوى ، . لكن حياتكما الخاصة لا شأن لى بها ..

ثم أشار إليهما بالجلوس على المقاعد التى أمامه .

ربما يكون تدخل ، دافيد ، منطقياً إذا كنت قد شرحت لى ..

فقالت له بتوتر وهى تجلس على المقعد :

ماذا أشرح لك ؟

فقال لها ، فيكتور ، : إنه ليس بالأمر المهم ، فلنتكلم فى العمل .

ثم استدار ناحية ، دافيد ، وقال :

أعتقد أننى لست بحاجة لأن أشرح لك الموقف .

فى الحقيقة . إنى أعلم أن المطبخ التقليدى قد أعطى اشتراكاً إلى شركة ، حلوى أماندين ، ، وقد وقع العقد منذ شهر .

وقد غيرت ، نانسى ، بعد ذلك فى الحال رأيها .

لقد حاولت بشتى الطرق أن أحصل على بطلان لهذا العقد ، لكن كما شرحت لـ ، نانسى ، ، لا يوجد شىء مطلقاً نستطيع أن نقوم به . إن شهادة الضمان المؤقتة قد انتهت مدتها ، إن شركة ، حلوى أماندين ، ستصبح ملكاً للمطبخ التقليدى وسوف تفقد ، نانسى ، وظيفتها بصورة قطعية .

– كل ما يوجد بصورة قانونية ؟

فأومأ برأسه : ، نعم ، .

– وإذا كان المطبخ التقليدى يريد أن يلغى العقد ؟

أهذا ممكن من الناحية الشرعية ؟

– نعم . بطريقة آلية ، يوجد شىء مبطل يبقى سارى المفعول مدة أسبوعين . إذا لم يستطع ، رولاند ، خلال خمسة عشر يوماً أن يوفى دين شراء شركة ، حلوى أماندين ، فسوف يرجع حق ملكية الشركة لـ ، نانسى ، . فقالت المرأة متذمرة : تكلم أرجوك !

– كيف تكون مرفوضة من قبل إذا كان العقد لم يزل بعد غير مسموح له بأن ينفذ ؟

– فقال لها ، فيكتور ، وهو ينظر محذراً : نستطيع أن نقول : إن هناك خطأ تفسير إن رغبة المطبخ التقليدى المعلنة بطرح جهد كبير للتوسع قبل أن يصدر التصديق النهائى للعقد ، يمكن أن يبدو ذلك كدليل على حسن النية .

فتمتم ، دافيد ، : هذا شىء مثير .

– هل كنت تجارى الأحداث بأن ، ستيف رولاند ، رئيس ، المطبخ التقليدى ، هو خطيب لـ ، نانسى ، ؟

– إنى على علم بذلك .

كان ، فيكتور ، سيكمل حديثه بينما نهضت المرأة فجأة ، كما لو أنها قد دفعها حافز ما . لم تتحمل أن تجلس أمام أعين ، دافيد ، كبلهاء .

– لقد سرق منّى هذا الوغد شركة « حلوى أماندين » !

هزّ المحامى رأسه بنوع من الشفقة .

وقال وهو ينظر إلى « دافيد » : ليس هذا صحيحاً تماماً ، إن لـ«نانسى» نسبة قليلة .

فقالت « نانسى » : هذا ما لا يترك لى أى حق عدا جزء من الأرباح . إذا لم أفكر إلا فى المال لكنت بعت له الشركة .

وأكمل « فيكتور » الحديث قائلاً : إنه ليس من النّادر أن شركات كبرى تفصل بعد ذلك من العمل بعد انضمام سابق مع شركات أخرى . إن شركة « رولاند » تملك اليوم الجزء الأعظم من شركة «حلوى أماندين » .

بطريقة أخرى : إنه هو الذى بيديه زمامها .

– لو كنت أعلم ما سيحدث لما وقعت أبداً !

– كل ما كتب فى العقد هو حبر على ورق ..

– أعرف ذلك !

– فسألها « دافيد » بهدوء فلماذا إذن وقعت ؟

– لم يكف « ستيف » عن الإلحاح علىّ بأننى لا غنى عنى لتقدم شركة « حلوى أماندين » .

لقد قال : إنه بدونى لا يتنبأ بمستقبل حسن لهذه المغامرة . كيف كان علىّ أن أعرف عبارة إدارة شركة « حلوى أماندين » ، سوف تحل محلّها عبارة المطبخ التقليدى الذى يعنى أنه سوف يرمينى عند الباب ما إن أوقع ؟

– لم يكن لديك أدنى شك ؟

تجنبت المرأة نظرات « دافيد » ، كيف تشرح له أن سيدة الأعمال استمعت إلى نداء قلبها أكثر من عقلها ؟

فهزّت رأسها بضيق .

– لابد أن هناك حلاً !

وقد أجاب على عبارة تعجبه هذه صمت طويل .

لقد فقدت « نانسى » الشىء الوحيد الذى كانت تتكل عليه حقيقة . لقد تذكرت ما بدا على وجه « ستيف » مباشرة من فرحة النصر ، عندما وقّعت «نانسى» على العقد .

للمرة الأولى، اعتقدت المرأة أن وميضاً من الاحتيال قد انكشف . لقد اعتقدت أن مخيلتها قد لعبت دوراً مهماً . لكن فى الوقت الذى كانت تأكل فيه مع « ستيف » ، كانت تشعر بشىء مخيف يحدث .. لقد قرأت فى عينيه الطمع والجشع الذى قد أمسك بفريسته بين أسنانه .

ثم أطار الحبُّ كلَّ شيء ، ولم يبق أى أثر بعد ذلك .

وقد أدركت « نانسى » بعد ذلك أنها قد فقدت كُلَّ شيء .

– لم يخطر ببالك أبداً أن تتزوجينى ، أليس كذلك ؟

أصابتها ابتسامته بقشعريرة .

لقد فكّرت فى ذلك ، لكن بعد أن وقّعت هـذا العقـد أصبح شيئاً لا فائدة منه ..

– إعتقدت أنك تحبنى ..

وأخـذت تتـأمل بازدراء هذا الرجل ذا الوجـه الملائكى والشـعر الأشقر ، والذى قضت معه أوقاتاً طيبة حميمة جداً .

ثم نظر إلى ساعة يده ، وقد بدا على عجل من الوقت .

ثم قال لها : لقد قضينا أوقاتاً طيبة معاً .

إنك امرأة جذّابة جداً يا « نانسى » . لم أتخيل أنك ستكونين بهذه الروعة .

فسألته بصوت مضطرب : لأنك قد خططت كل شيء ؟

لقد خططت بالفعل بأن استولى على شركة « فطائر اللوز » .

إن سـمعـة مـشروعك كـانت كـثمـرة الكرز التى لا أستطيع أن أقاومها .

وما تبقى من ذلك لم يكن سوى شيء من المفاوضات كمثيلها .

إذا لم تكونى تريدين أن تتزوجينى ، لكنت وجدت شيئاً آخر .

– لماذا تريد أن تبـعـدنى هكذا بأى ثمن عن شـركـة « حلوى أماندين » ؟

– إنهـا ملكى اليـوم يا عـزيزتى . وأريد أن أديرها بنفـسى كـمـا انتظرت ذلك .

– كنت تخشى ألا أنفذ قراراتك ؟

– كنت أعرف جيداً أنك لن تفعلى ذلك ..

– « نانسى » ؟

أخرج صوت « فيكتور » المرأة من ذكرياتها .

فأجابته : معذرة . هذا صحيح أننى أشعر بضيق عندما أصدق هذه الكذبة .. لقد كرست ثمانية أعوام من حياتى لشركة « حلوى أماندين » .

فقال لها المحامى : إنى أعرف ذلك . لكنك تستطيعين أن تبدئى من جديد بالمال الذى تبقى لك من اتّحادك معه .

كـانت صلتك المالية التى قد قمت بها فى تفاوضك مع شركة «المطبخ التقليدى» رائعة .

تستطيعين أيضاً أن تأخذى عطلة طويلة ، إذا كان هذا يريحك ..

ثم وضعت « نانسى » يدها فى طبق البندق وقالت :

سوف أعيد بناء شركتى بطريقة أو بأخرى ..

– وأكد لها « دافيد » قائلاً : بالتأكيد سوف تعيدين بناءها .

أو أستطيع أن أقول : نحن نستطيع أن نعيد بناءها ؟

فالتفتت إليه . وتملكها شعاع الأمل لأوّل مرة منذ شهر عندما رأت الإصرار فى عينيه .

– وسألته قائلة : أعتقد هذا ، حقاً .

– نحن لسنا نعتقد فى شىء أبداً ، يا « نانسى » ، لكننى أعدك بأننى سوف أقوم بعمل كل شىء من أجل هذا .

– لكن كيف ؟

– فقال لها « دافيد » وهو ينهض : إذا تناقشنا فى ذلك ونحن نتناول الغداء . ثم لف ذراعه على وسط « نانسى » كما لو أنه قد اعتاد هذا التصرف .

– هل سترافقنا يا سيد « فيكتور » .

– بكل تأكيد . وبالرغم من دعوته الصورية هذه ، لم يرغب «دافيد» إلا فى أن يبقى مع المرأة وحدهما .

* * *

الفصل الثالث

ثم رفض « فيكتور » الدعوة معتذراً بأنه قد تذكر أنه على موعد آخر . وقبل أن يغادر أخبره « دافيد » بأنه سيكون على اتصال به ليخبره بما يجرى فى هذه المعركة ، فترك له المحامى رقم هاتفه الشخصى ، فى حالة الاحتياج له .

كانت « نانسى » من ناحية أخرى تريد أن تبقى مع « دافيد » وحدهما . لأن لسانها كان ملتهباً بالأسئلة التى تود أن تطرحها عليه..

انتظرت المرأة مغادرتها للمبنى لكى تتخلص من ذراع « دافيد » ، وفجأة التفتت إليه فى الشارع لكى تسأله .

فقال لها أخيراً :

ما الذى يقلقك ؟

– أعتقد تماماً أن « فيكتور » يتصل الآن بصديقتى « ماندى » ليقول لها : إن رجلا لم أتحدّث إليه من قبل يصطحب «نانسى» الآن.. ماذا كنت أستطيع أن أفعل ؟ قد اقتحم المكتب بكل معانى الألفة !

– هل « ماندى » هى زوجة « فيكتور » ؟

وهزت المرأة رأسها .

– هذا خبر سعيد . بما أنه لم يكن على عهد بأى شيء ، سألت نفسى مرة إذا كنت أحتاج إلى خصم .

وقالت له « نانسى » وهى تهز رأسها : عم تتحدث ؟ ولكن أجبنى قبل كل شيء . من الذى سمح لك بأن .. ؟

ومد « دافيد » يده ولمس شفتى المرأة لكى تصمت .

– ألديك الجرأة لكى تقولى إنك لم تسعدى لرؤيتى؟ .. فقالت له وهى تحنى رأسها مندهشة لكنها سعيدة :

– هذا حقيقى .. كنت سعيدة .

ثم وضع ذراعه على كتفيها .

وقال لها : كنت أفكر فيك أثناء هذه الأسابيع الأربعة .

وأعتذر إذا كنت قد ضايقتك قليلاً أمام محاميك ، لكننى كنت أريد أن أضع النقط على الحروف .

فأجابته وهى ترتعش لوضع أصابعه فوق عنقها :

إن « فيكتور » أحد أصدقائى . لكن لدى سؤال آخر :

كم من الوقت ستبقى ؟

– أكثر من الضرورى .

– ألا يجب أن تعود إلى « تاهوى » ؟

– ليس صحيحاً .

– ألا تسكن هناك ؟

– نعم ، لقد كنت أسكن هناك ؟

– والآن ، ألا تسكن هناك ؟

– سوف أروى لك بعد ذلك . والآن يوجد ما هو أهم بكثير .

وأخذ « دافيد » ينظر إليها فأدركت « نانسى » أنه يريد أن يقبلها ، وبدلاً من أن تخطو جانباً ، أخذت تمشى على أطراف أصابعها ..

ثم قبّلها « دافيد » وأعين المارة تنظر إليهما بفضولية ثم ابتعد عنها « دافيد » .

– وقال لها بإيجاز : هيا بنا نتناول الغداء .

سوف نأخذ سيارتى . أشعر بأن سيارتك لن تتحرك بسهولة أكثر مما حدث هذا الصباح .

شعرت « نانسى » بشيء من الدُوخة ، لكنها لم تفكر حتى فى أن تسأله كيف عرف ما جرى .

ترك لها « دافيد » حرية اختيار المطعم ، مدّعياً أنه لا يعرف الأماكن الجيدة فى هذه المدينة التى تلمع فى شمال « سوساليتو » ، ثم اتجهت المرأة ناحية مطعم « كانتين » ، الذى يقع فى « ميل ڤالى » .

وقال لها ، دافيد ، وهما يجلسان عند منضدة أمام النافذة هل لك أن تروى لى بالتفصيل قصة شركة ، حلوى أماندين ، .

لقد كان يستطيع أن يطلب من ، نانسى ، أيضاً وبكل سرور أن تفتح له قلبها .

لأن الشركة التى قد أنشئت بعرق جبينها تمثّل كل حياتها .

– أنا لا أعرف أبداً كيف وجدتنى .

– هذا شىء يسير ، لقد أعطيتنى اسمك . وأنا لدىّ الكثير من العلاقات الاجتماعية .

– لكن شركة ، حلوى أماندين ، ، كيف عرفت عنها كل ما حدث ؟

على ما أعرف أن خبر فصلى لم ينشر .

– فقال لها مفسراً : لقد نشرت الجريدة المحلية مقالة صغيرة عما حدث فى شركة ، حلوى أماندين ، . فاتصلت فوراً بشركة ، حلوى أماندين ، هذا الصباح ، واكتشفت أنك لم تعودى تعملين هناك . فألححت قليلاً ، فقالوا لى إنك قد فصلت .

– لكن كيف عرفت أننى فى مكتب ، فيكتور ، .

– لقد تتبعتك ، لقد وصلت إلى منزلك فى الوقت الذى كنت تستعدين فيه للرحيل .

– ولم تتردد فى أن تهجم على المكتب . وكيف عرفت ما أفعل بداخله ؟

– كان استنتاجاً بسيطاً .

– لماذا لم تنتظر بالخارج ؟

– كيف تريدينى أن أساعدك ، إذا لم أكن على علم بكل جوانب الموضوع ؟

– هل يجب أن أصدقك ؟

– هل تفضلين أن أقول لك : إننى لم أستطع أن أنتظر أكثر من ذلك لكى أراك ؟

فاحمرّ وجهها بسرعة ، وسألت نفسها : ما مدى صدقه ؟

– كان يتحدّث معها أثناء تناول الغداء عن شركة ، حلوى أماندين ، .

جعلها تروى له كل شىء منذ يوم نشأتها . وقد أنصت إليها بدقة بالغة ، مشتهياً دائماً توضيحات أكثر .

وقد أعطته المرأة أيضاً فكرة عن تطور صناعتها الخاصة بها ..

– ما الذى جعلك تعتقدين أن ، رولاند ، لا يملك شركة ، حلوى أماندين ، ؟

أزاحت ، نانسى ، طبقها الفارغ ، ووضعت مكانه ذراعيها .

– عندما اتصل بى ، ستيف ، هاتفياً أول مرة ، لقد شرحت له بكل وضوح أن التوسُّع لن ينجح إلا إذا حافظنا على الطرق المعتادة فى الإنتاج . فقال لى : إن ماكينة أخرى سوف تقوم بعمل اللازم ، ولم أعترض على هذا الاقتراح .

إن مصنعى الفنى للبيتى فور المنزلى كان ذا أهمية كبرى من وجهة نظرى ، إن تدخل الآلات سوف لا يفقد ، حلوى أماندين ، طبيعتها الخاصة فقط بل سوف يحوِّلها إلى نوع حقيقى من الغش .

– هل تنازل عن هذا الموضوع ؟

– نعم لقد اعتقدت أننى أقنعته أخيراً عندما جعلته يزور مصنعى ، فى الواقع ، إنه – دون أى شك – فى هذا الوقت قد قرر أن يتخلَّى عن خدماتى ..

– إذن تعتقدين أنه قد حول كل شىء إلا الآلات ؟

– لقد اقتنعت بذلك ، لقد أخذ ذلك بضعة شهور ، لكى يتدرَّب العمال على الآلات . ثم بعد شهر أو اثنين قد وصل ، ستيف ، إلى النهاية ، بعد هذا الوقت بعام أو أقل ، عندما بدأت شكوى الزبائن ، تجاهل الأسباب لكى يغطِّى خسارته .

– ما نوع التقدم الذى كان بذهنك ؟

– كنت أريد أن أفتتح محلاَّت أخرى ، وأزيد العمالة وأقوم بعمل دعاية ، لم يكن مؤكداً وجود عمالة جيدة ، لكننى كنت أثق بأننا نستطيع أن نزود الخمسة أو الستة محلات التى كنت أريد افتتاحها .

– كانت طرق ، رولاند ، بدون شك سوف تأتى بالشهرة على شركة ، حلوى أماندين ، .

– فقالت بحسرة : ربما لكن الشركة كانت ستفقد امتيازها . لن يكون هناك ما يميزها بين متاجر الحلوى الموجودة فى المناطق التجارية .

– إنه لشىء قاس أن نرى مشروعاً قد أعطينا له الكثير يتغيَّر بهذه الصورة السيئة .

– إن الأمر أكثر حدة من هذا ، لقد أمنت شركة ،حلوى أماندين، حياتى مدة ثمانية أعوام ، لقد كنت أخشى أن أفقد كل ذلك مرَّة واحدة .

– على حسب قول ، فيكتور ، إن صلاتك المالية مناسبة .

لقد قلت : إنك تستطيعين أن تبتكرى مشروعاً من لا شىء تقريباً . لماذا إذن لا تستطيعين أن تبدئى ؟

نظرت إليه بإمعان وقالت :

إننى لا أخشى من أن أبدأ من الصفر لكننى أتمنّى أن ألا يحدث مثل ذلك من جديد .

كثير من الناس يغيرون أعمالهم أو مهنهم على الدوام . أن تبقى طيلة حياتك فى نفس الشركة أو حتى فى فرع منها قد يكون شيئاً استثنائياً .

– قالت متعجبة وهى تضحك ضحكة مرة .

أنت لا تعلم شيئاً . كان أبى بكل تأكيد قد حقق الرقم القياسى فى ثبوته فى مهنته .. أعتقد أن لم يبق طويلاً لكى يتراكم عليه أسبوع من العطلة .

– ألم يتغير أبداً ؟

أجابته دون أى شك : لا ، لقد استقال .

لقد كان دائماً يبحث عن الأفضل ، الأكثر أهمية ، كان يعتقد أنه سيجد كنزاً ذهبياً .

– ألست من نفس النوع ؟

– أنا لا أعتقد أننا نستطيع أن نحصل عليه .. لابد أن نخلقه بداخلنا .

فابتسم برقة .

– لا يمنع تغيير فى مهنتك من أن تكونى من نوع والدك .

فقالت وهى تعض شفتها كما لو كانت تبحث عن رد أفضل : أنت لا تفهم .. إنه لم يغير عمله فقط ، بل غيّر منزله فى المدينة ، فى المحيط كله ، ومن عام لآخر قد تبدل كل شيء .. كنت أتبعه أنا وأمى فى كل مكان .. كان يعدنى دائماً بأن المرة القادمة سوف تكون أفضل لكى أحتفظ بأصدقائى ، ولكى أستطيع أن أبقى عاماً دراسياً كاملاً دون الانتقال من منزل لآخر . لكن هذا لم يحدث أبداً .

إنه عند بلوغى العام السادس عشر حققت رقماً قياسياً : ثلاثة أعمال ، ثلاث مدن مختلفة ، وثلاث مدارس . تركها « دافيد » تستكمل حديثها .

لقد أنشأت بفضل شركة « حلوى أماندين » بيتاً ،

وأصدقاء ، ونقاط استدلال .

إن فكرة بدء كل شيء من جديد تنتزع منّى الشعور بالأمان .

– إنك تفكرين فى الأمان كما لو أنه شيء ثابت .

– إنه المحور ، محور كل الجذور . إنه المكان الذى يجب أن نعود إليه وأن نأخذ منه كل نبع .

ابتسم لها « دافيد » بجاذبية .. ماذا تفكر « نانسى » بأسلوب حياته التى يحياها ؟ ، إنه يشعر بأنه فى منزله فى الوقت الذى يكون قد وضع فيه حقائب سفره !

هذا ما يحبه فوق كل شيء فى عمله : حرية التحرك من مكان لآخر . قبل ، تاهوى ، كانت مدينة صغيرة لا تظهر من وسط الغابات ، ألمين ، كانت قبل ذلك قرية صيادين فى أيرلندا .. ليس له منزل ما عدا الذى يملكه أهله فى ، كارولين ، فى الجنوب ، حيث لديه هناك بعض الأعمال التى لا يحتاج إليها الآن . لم يحبذ «دافيد ، أبداً أن يزحم نفسه بالأشياء .

لقد وعد المرأة بأن يعيد إليها شركتها المفقودة وهو عند وعده هذا – حتى لو كان يبدو مشجعاً لـ«نانسى» بأن تبقى فى عالمها الصغير الآمن .

ثم سأل نفسه عما سيكون مستقبلهما إذا لم تكن قد انجذبت إليه .

يستطيعان أن يتنزها معاً ، وسيكون الهواء ورغباتهما هما القائدان الوحيدان .

سوف يزوران لأول مرة بلاداً بعيدة ، وسيحاول أن يجذبها إليه بقدر ما يستطيع .

لكن المرأة التى كانت تجلس فى مواجهته لم يكن يثير اهتمامها البحث عن أجواء مجهولة .

تنهّد ، دافيد ، تنهداً يوحى بالإحباط عندما شعر بأنه مذنب . إن أسلوبهما فى إدراك الحياة لا يجب أن يؤثّر على الشعور بانتماء الواحد للآخـر .

– ثم قال لها : إن جدى كان سيصفق لك بملء كفيه . كان دائماً يفخر بأن أربعة أنساب من العائلة يسكنون فى نفس المنزل ، إذا كان لا يزال على قيد الحياة يوم تخرجت فى الجامعة ، لكانت الأمور تسير بطريقة أخرى .

– كيف ذلك ؟

– لكان أقنعنى على سبيل المثال بأن أشترك فى مشروع أسرى .

– لكن ليس هذا ما كنت تريده ، أليس كذلك ؟

– إننى كنت مع ذلك سأقوم بفعل ما يريد ، فقط لكى أمنعه من أن يدبغ لى الجلود .

– يبدو أنه كان ذا تأثير كبير عليك .

– كنت أحبه كثيراً .

– فقالت له وهى تلاحظ الحنين الذى غطّى على نظراته :

– حدثنى عنه ، بأى مشروع كان يتعلق الأمر ؟

– فقال لها ببساطة : بالبنك والعقارات .

كان جدى يساعدنى دائماً إذا كنت فى احتياج إليه .

فكنت أريد أن أرد جميله بالمثل .. لكن بعد موته ، لم أجد أىّ سبب يجعلنى ألقى بنفسى فى مهنة لا أحبها .

– أشعر بتعبٍ حينما أتخيّلك خلف مكتب . أليس ذلك صحيحاً ؟ .

شعر بهذا السؤال المطروح عليه لكنه ابتعد عنه ، لم يكن على استعداد أن يجيب على شيء .

– وقال لها بنبرة ثابتة : فلنعد إلى موضوعنا .

هل فكرت فى أن تتوسّعى على نطاق كبير .

– هل تمزح ؟ إن أمامك امرأة يتعبها أن تترك حديقتها حتى أثناء العطلات . إن الدوران فى البلاد ليس شيئاً يثيرنى .

– حتى أثناء العطلات ؟

– ليس لدى الوقت ، ولا الرغبة .. ليست لدى روح المغامرة .

فتذكر ، دافيد ، مساء اليوم الذى قابلها فى ، تاهوى ، .

وقد بقى هذا اللّقاء أمام عينيه كما لو كان شيئاً غير طبيعى ، وكان مقتنعا تماماً أنها تفكر فى مثل هذا .

– فقال لها : بكل تأكيد . أنا أمزح . لكن ، رولاند ، لم يكن يعلم ذلك .

فهزّت ، نانسى ، رأسها .

– ثم قالت له : أنا لا أفهم ؟

– بكل دقة . لم يفهم ، رولاند ، أبداً .. لأجل هذا ستسير الأمور على ما يرام .

– ماذا إذن ؟

– عن عملية النّصب التى سنقوم بها .

كان للكلمة عبيرها الرومانسى .. خاصة الصفة غير القانونية .

رفعت ، نانسى ، حاجبيها وقالت :

– أتريد أن تقول : إننا سوف نسافر بالباخرة إلى ، ستيف ، لكى يرد إلى شركة ، فطائر اللوز ، .

– نعم ، بأى طريقة ، فلنذهب إلى مكان أكثر هدوءاً لكى نفكّر فى هذا .

– فقالت له بينما كان ينهض : ضعنى على طريق مرسوم .

– ليس بعد .. توجد بعض التفاصيل التى يجب أن أضعها فى اعتبارى قبل أن أطرح عليك خطتى . ثم إننا لم نتحدث بعد عن الأربعة آلاف والخمسمائة دولار التى لك .

* * *

الفصل الرابع

النقود .. لقد نسيتها ، نانسى ، كلية . تملكها شعور بعدم الارتياح بينما كانا يخرجان من المطعم . كان لابد أن تشك فى أن ، دافيد ، لم يقطع كل هذا الطريق لمجرد الرغبة فى مساعدة امرأة شبه مجهولة بالنسبة له .

فى النهاية ، لم يكن بينهما شىء أكثر من أنهما اقتسما زجاجة شراب سريعاً على الرصيف .

سألته :

– ألهذا بحثت عنى ؟

– لا تتفوهى بالحماقات . لقد أحضرت النقود ؛ لأنى أتيت لأراك وليس العكس .

– آه .

أحاط خصرها بذراعه . كانت حركته طبيعية لدرجة أدهشت «نانسى» وتصلبت للذكرى السخيفة لفشل مغامرتها العاطفية الأخيرة .

شعر ، دافيد ، بمقاومتها ، لكنه لم يلق لها بالاً .

وعندما أرادت المرأة الابتعاد . جذبها إليه .

شعرت ، نانسى ، بشدة وثاقه لكنها لم تكن أسيرته .. فإذا أرادت بحق أن تتخلص من قبضته لاستطاعت فى الحال .

عندما وصلا بالقرب من السيارة ، وقف « دافيد » فى مواجهتها ، وهى مستندة إلى الباب .

– لماذا هربت منى فى ذلك اليوم ؟

خفضت بصرها .

أجابت :

– كنت خائفة .

– لم يكن هناك أى سبب للخوف ، لست أنا من يسبب الخوف.

اقترب منها تماماً , شعرت المرأة الشابة بقشعريرة تسرى ببدنها.

– لماذا خفت عندما علمت أننى أريد البقاء معك ، وأننى لا أفكر فى شىء آخر إلا البقاء معك .

– لست أنت السبب .. بل أنا . لا يجب أن أترك نفسى لمثل هذه المشاعر . ليس الآن .

– لأنه كان عليك أن تداوى الجراح القديمة ؟

– نعم ، بشكل أو بآخر .

– لن أتهمك بأنك اتخذتنى حبيباً عابراً أو وسيلة للسلوى . فأنت لم تحبى « رولاند » على الإطلاق .

كيف عرفت ذلك ؟

– أتذكرين ما قلته لى فى « تاهوى » : إنك كنت غاضبة لكنك لم تكونى حزينة .

رفع ذقنها ليجبرها على النظر فى عينيه .

– هل افتقدتنى فى تلك الليلة يا « نانسى » ؟ هل سألك الليل فى حجرتك عما سيحدث إذا ما بقيت معى فى المشرب ؟

تنهدت :

– نعم .

فهى لم تكن تكف أثناء شهر كامل عن ترديد أنها بتسللها من المشرب قد أضاعت فرصة لسعادتها .. كان نوعاً من الهواجس ، ليس أكثر ، لكنه كان هاجساً ملحاً لم تتح لها الفرصة للتخلص منه .

همس :

– أنا أيضاً .

نظر إليها بعمق ، تأملت « نانسى » عينى « دافيد » بإعجاب .

قال :

– ما الذى تريدين معرفته عنى أكثر قبل أن نبدأ من جديد ؟

أثارتها ثقته الزائدة التى تصل إلى حد الكبرياء .

قالت فجأة تريد دحره :

لست المرأة التى قابلتها فى الكازينو، أنا لست متكلفة أو مجازفة .

أنا « نانسى ستيوارت » ، فتاة بسيطة جداً لعبت دوراً ما مساء يوم ما .

– أحب لعب الأدوار . أحياناً أؤلف شخصيات وأقوم بدورها أنا الآخر .

– فيما يتعلق بى . لقد قمت بدور وحيد فى مساء ما .

أنا أسهل من الكاكاو والكلمات المتقاطعة .. كذلك من الشراب والقمار ، هل ترى ما أقصد قوله .

أوماً برأسه وهو يبتسم :

– لا تبخسى قدرك إلى هذا الحد . أنت كما أردت أن تكونى . ليس هناك ما هو أكثر سلبية من تشبيه المرء نفسه بالأشياء . المهم هو الاستماع لصوت قلبك وعقلك .

– لقد قيل لى إننى مثل « زيد الكاكاو » وكلمات متقاطعة !

– فى هذه الحالة اعلمى أن أذواقنا مشتركة . لكن تعالى ، لنذهب إلى بيتك ، أحتاج إلى أن أفكر .

كادت أن تضيف إلى جملته أنها أيضاً بحاجة إلى التفكير ..

كان « دافيد » يقف أمام السور الخشبى لشرفة « نانسى » . كانت تبدو قمة جبل «تالمابيه» من بعيد حيث تناطح السحاب . على السفح ، تتلاحق الأمواج تحت الجسر الخشبى . لابد أن منظر مغيب الشمس رائع من هذا المكان .

لقد مر « دافيد » و «نانسى » على « سان رفايل » . لإصلاح سيارة « نانسى » .

انطلقت « الشيفرولية » القديمة بدون أى مشاكل مما أثار دهشة « نانسى » .

أصرت على اصطحابها إلى الجراج .. لقد كان من المعتاد أن ألا تتحرك السيارة مرتين متتاليتين بدون النبش فى المحرك ، اندهش « دافيد » من هذا المنطق الغريب ، لكن حتى الميكانيكى أبدى قلقه لـ «نانسى» ، لقد أصبح النبش فى المحرك كالطقس .

قالت « نانسى » خلفه :

– هناك مرطبات فى الثلاجة .

– لست بحاجة لشىء . شكراً .

لحقت به « نانسى » فى الشرفة . كانت قد بدّلت ملابسها مرتدية جيباً متواضعة ، و « تى شيرت » بدون كمين . الاثنان باللون الأزرق الفاتح . كانت حافية القدمين وربطت شعرها على هيئة ذيل حصان . كانت تبدو فى السادسة عشرة .

– ما عمرك يا « نانسى » ؟

– ثلاثون عاماً ، لماذا ؟

– هكذا ، مجرد العلم بالشىء .

قال لها « دافيد » .

– عندى أربع وثلاثون سنة .

نظرت إليه بمرح وقالت ساخرة :

– هل لديك أقوال أخرى .

– اسألى ما شئت من أسئلة .

أسئلة .. كان لدى « نانسى » الكثير منها تتدافع فى ذهنها .

لماذا أثق بك ؟

نظر إليها بحيرة .

– أعتقد أنك سويت الأمر الآن مع « فيكتور » .

– كنت أعرف قبل أن يقوم « فيكتور » بتحرياته .

ترك تصريحها هذا « دافيد » مشدوهاً ، وفريسة لنفس الشعور الذى تملكه منذ شهر وفى كل مرة يفكر فيها فى الفتاة .

إعصار من العواطف يهدد هدوءه ورباطة جأشه .

لم يحدث أن سببت له امرأة اضطراباً إلى هذا الحد .

لم يكن واثقاً بأنه يحب هذا الشعور . على أية حال ، لم يكن يفهم ما يحدث له .

فى المساء الذى قابلها فيه فى الكازينو ، كان رد فعله تجاهها غير طبيعى . كانت قوة الجذب التى قربتهما لبعضهما البعض تجربة جديدة . لقد انطلق بحثاً عن السيدة الشابة يملؤه شعور مبهم بأن حياته مضطربة بدونها ، لكن لم يكن لديه الخيار .

سألته .

– هل هنالك شىء ؟

أومأ برأسه .

كان ذلك يكفى « دافيد » ، كان يجب أن يكفيهما ذلك ..

لهذه اللحظة .

استطردت « نانسى » :

– ما هو أكثر غرابة ، هو يجب ألا أثق بك .

بعدما رأيت من « ستيف » .

كان يود أن يحثها على ألا تسمع إلا صوت قلبها .

استطردت :

– فى الحقيقة ، لم أكن أعرف أى شىء عنك هذا المساء فى الكازينو .

قال :

– لست أنا الملوم . قد قدمت نفسى إليك حتى رحلتى خلسة .

– ثم هأنت ذا تظهر فى مكتب « فيكتور » .

صحح قولها :

– لقد أدخلتنى السكرتيرة .

– والآن أنت تتحدث عن طريقة لاستعادة شركتى .

– إن « فيكتور » مقتنع أننى فرصتك الأخيرة .

– لم أكن أعتقد أبداً أنه شخصية انتقامية .

– سنكتفى بأن نرد لـ«رولاند» جزاءً من جنس عمله، ليس أكثر .

همست كما لو كانت تحدث نفسها :

– لو كنا التقينا قبل ذلك . لما حدث كل ذلك . مد ، دافيد ، يده .. شد الشريط الذى يوثق شعر السيدة الشابة فحرره .

– ما كنا لنلتقى أبداً بدون ، رولاند ، .

– أكره فكرة أن أكون مدينة لـ ، رولاند ، .

– أحب أن تكفى عن التفكير فيه .

– لماذا إذن ؟

تنهد .

– لأنّى أريدك يا ، نانسى ، .

أجابت ببساطة .

– لندخل .

كانت الشقة واسعة ومضيئة . سارا دون التوقف فى الصالون أو السفرة ليسلكا ممراً يؤدى إلى غرفتها ومكتبها .

لكنهما دخلا إلى المطبخ . حيث رفعها ، دافيد ، ليجلسها فوق مقعد عال . أمام المنضدة . نظرت إليه فى دهشة ، بينما خلع رباط عنقه .

سألته :

– ماذا سنفعل فى المطبخ .

– سننهل من خيالنا .

أخذ كأسين من الخزانة .. ثم فتح الثلاجة وأخرج زجاجة عصير ليمون .. ملأ الكأسين وأعطى واحدة لـ ، نانسى ، .

قالت ضاحكة :

– لن يبدل الخيال الليمون إلى مشروب آخر .

جلس على المقعد المجاور لها . فى تلك اللحظة ، اتضح كل شىء فى ذهن ، نانسى ، .

– هل تتذكرين عندما كنا نجلس جنباً لجنب فى الكازينو ؟

– نعم . أتذكر .

شعرت السيدة الشابة أنها انتقلت إلى عالم استطاع أن يصوره له بإيحاء بسيط .

كان ثوبك قصيراً عندما كنت تجلسين فى المشرب .

كان أقصر من هذه الجيب ثلاثة أو أربعة سنتيمترات .

– كيف عرفت ؟

– عرفت .. هذا كل ما فى الأمر . هل تعرفين ماذا كنت أريد فى هذا المساء .

لم يستمع إلى إجابة .

– كنت أريد أن أقترب منك .

وبالفعل .. اقترب «دافيد» و «نانسى» وسعدا بوجودهما معاً حتى الثمالة . كان يخيم عليهما شعور بمشاركة مثالية .

حتى كانا أحيانا يترددان بين الضحك والدموع لشدة فرحتهما . لقد استغرق الحبيبان فى انسجام لا يسهل وصفه .

قالت « نانسى » وهى مشدوهة من هذا الإحساس الغريب الذى لم تعهده من قبل :

– متى سنتقابل ؟

– أجاب بألم .

– ليس قبل عدة أيام . ليس قلبى بتلك القوة التى تتحمل إيقاع حبك السريع .

* * *

الفصل الخامس

اصطحب « دافيد » « نانسى » إلى المطعم لأنه كان يريد أن يأكل كابوريا طازجة ، ولم يكن لديها منها فى الثلاجة .

قالت وهى ترتشف الشراب :

– مازلت لا أفهم لماذا رفضت اقتراحى بشى قطع اللحم .

انحنى « دافيد » نحوها ، لمعت نظرته بوميض من المكر .

– إذا مـا كنا أكلنا شـرائح اللحم ، لما بقى لنا شىء نأكله فى منتصف الليل .

قالت وهى تصيح .

–عادة ما أكون نائمة فى ذلك الوقت .

– هل تراهنين ؟

جاء النادل وهو يحمل الأطباق فتوقفت « نانسى » عن الإجابة . انكبت على طبق الجمبرى المشوى ، بينما أخذ « دافيد » يلتهم الكابوريا اللذعة .

قال :

– لا يوجد ما يضاهى القشريات وفواكه البحر .

سألته « نانسى » :

– أين تسكن حتى تحرم هكذا من هذه المأكولات ؟

– لقد عشت أكثر من سنة فى « تاهوى » . يوجد بها كل المأكولات البحرية إلا أنها لا تبدو أبداً طازجة .

– هل ستخبرنى الآن أين تسكن أم سيظل ذلك سراً ؟

– لماذا تقولين ذلك ؟

– كل أحوالك غامضة . لست أدرى أين تسكن ، لست أدرى ما هى مهنتك . ثم إن هناك أسئلة أكثر تعقيداً .

– ما هى ؟

– يساورنى هاجس أنك ستجد وسيلة غير قابلة للفشل لاسترداد شركتى من « ستيف » ؟ لماذا قبلت أن أستضيفك فى بيتى بينما ..؟ ماذا ؟

كانت « نانسى » تريد أن تفصح له عن مخاوفها قبل أن يحطم قلبها لكن تلك الفكرة كانت كافية بأن تحرق عينيها .

ظلت عيناها مثبتتين على كوبها . اختارت أن تضع تساؤلاتها جانباً لتستفيد من لحظات السعادة التى تهبها لها الحياة .

من ناحيته ، كان « دافيد » يتساءل عما أرادت الإفصاح به .

كان يود أن يقرأ أفكارها ! يوضح لها أن باستطاعتها الإفصاح بكل شىء ، وأن لا شىء – لا التردد أو الكبرياء – سيفرقهما .

ولا الأسرار ، ولا الأكاذيب ..

– هل قرصتك الكابوريا أم ماذا ؟

رفع « دافيد » بصره واكتشف أن « نانسى » تتفحصه وقد اعتلى وجهها تعبير ساخر .

سألته :

– ماذا هنالك ؟ هل تندم على شرائح اللحم التى كنت سأطهوها لك ؟

جاء النادل ليرفع الأطباق انتهز « دافيد » ذلك ليسترجع أفكاره . ربما حان الوقت ليعرض على « نانسى » خطّته بالنسبة لمحل « حلوى أماندين » .

قالت منزعجة :

– « دافيد » . ألا تعى أنك تجد صعوبة فى الحديث عن نفسك .

قال مبتسماً :

– أجل ، وغيّر الموضوع فجأة .

يجب أن نتحدث بشأن قضيتنا الصغيرة . بالنسبة لى ، الهدف هو أن نحمل « رولاند » على عدم الاهتمام بمحل « حلوى أماندين » .

وسيتنازل إذن عن اقتراحه الأول كما ينص العقد .

– إنى أتتبعك حتى الآن . فى الحقيقة ، هذه الفكرة تشغلنى ليلاً ونهاراً منذ شهر .

– أعرف أنك عشت شهراً جنائزياً . ماذا فعلت منذ إقالتك – غير قضم أظفارك ؟

– ما علاقة ذلك بخطتنا التنفيذية ؟

هز « دافيد » كتفيه .

– ربما ليس هناك أية علاقة .

على أية حال ، شعرت المرأة الشابة بالرضا لاهتمام «دافيد» بها . مهما كان هذا الاهتمام قصير الأجل . لأنه عاجلاً أم آجلاً سيرحل كما أتى .

– حاولت أن أبقى نشيطة . لقد تعودت أن أعمل اثنتى عشرة ساعة فى اليوم فى المصنع .

فى ليلة وضحاها ، أصبحت أقضى وقتاً طويلاً أمام جهاز التليفزيون . أو أذهب إلى مكتب « فيكتور » حيث لا أجد حلاً شافياً .

– هل منعوك من الدخول إلى المصنع .

– بشكل أو بآخر . لقد أمضيت اليوم الذى طردت فيه من المصنع فى مقهى مقابل لمحل « حلوى أماندين » .

– جلست هناك تتجسسين ؟

– بل أتباكى على الأرجح بسبب سذاجتى .. لقد بقيت هناك طيلة بعد الظهر .

– لابد أنك شعرت بتحسن بعد ذلك .

هزت « نانسى » كتفيها .

– أما باقى الشهر فكان أكثر إنتاجاً . لقد أعدت طلاء شقتى ، عوضت التأخير فى الرد على مراسلاتى ، قمت برحلات طويلة ، قرأت فى كل يوم كتاباً .

– على الأقل لم تدعى اليأس يبتلعك .

ثم طلب منها على الفور أن تحدثه عن صناعة البيتى فور . لمعت عينا المرأة الشابة .

– سأبدأ بشرح طريقة عمل الزلابيا . إنها سر المهنة ..

لقد جذب انتباه « دافيد » نبرة صوت « نانسى » أكثر من المقادير التى أخذت تسردها . كانت تلك نبرة تؤكد له إلى أى حد تحب «نانسى» عملها من الصناعة حتى الإدارة . سألها عندما انتهت من شرح طريقة عمل حلوى الشوكولاته بالزبد :

– كيف بدأت ؟ هل كانت أمك صانعة حلوى ماهرة ؟

رفعت المرأة الشابة عينيها إلى السماء .

– كانت أمى لا تجيد سلق البيض . إنه جدى من حفزنى على حب الطهى . لقد كان رئيساً للطباخين فى « أورليون الجديدة » ، كل حياته تقريباً كانت فى قسم صناعة الحلوى .

– هل علمك صناعته ؟

– نعم ، كان يريد أن يرسلنى إلى مدرسة متخصصة لأكمل تعليمى . كان يخشى ألا أتعلم من الطهى سوى الحلوى .

– وهل هذا ما حدث فعلاً ؟

– إن ذوقى يميل إلى السكريات أكثر من الأشياء المالحة ، هذا حقيقى ، لكنك سترى أننى قادرة على إعداد صلصة رائعة بالفلفل لتصاحب شرائح اللحم .

عندما ذكرت تلك الوجبة الخفيفة التى سيتناولانها فى منتصف الليل ، تقابلت عيونهما واعدة بليلة متأججة العواطف .

شعرت « نانسى » برجفة تعتريها من قدميها حتى رأسها .

جاء النادل وهو يحمل أطباق الكابوريا مما كسر حدة انفعالهما .

انزعج « دافيد » من تدخل النادل ، فلم تستطع « نانسى » أن تمنع نفسها من الضحك .

اقترحت :

– يمكننا أن نطلب من النادل أن يعد لنا وجبة نأخذها معنا .

قال مبتسماً .

– كلا . لكن لنسرع ..

أكلا فى صمت ، واستمتع « دافيد » بتقشير الكابوريا المشوية .

بادرته « نانسى » بالسؤال .

– ماذا تفعل بالضبط فى « تاهوى » .

اعتاد « دافيد » على التهرُّب من إجابة هذا السؤال . فأجابها بشكل شبه آلى :

– إنى أعمل هناك . ابن عمى يمتلك فندقاً بجانب الكازينو الذى تقابلنا فيه . أنا مسئول عن المشرب منذ عام .

– هل أنت نادل المشرب ؟

– هل أصابك هذا بإحباط ؟

– إنى دهشة . لم أعتقد أنك من ذلك النوع الذى يكتفى بتقديم المشروبات للآخرين .

– إن مسئولية المشرب ليست بتلك السهولة التى يتخيلها الكثيرون .

تذكر ساعات الذروة التى لا يجد فيها دقيقة للراحة .. وعلى العكس ساعات الملل التى ينتظر فيها قدوم عميل .

كان عمله مضنياً لدرجة لم يتوقعها ، لقد كاد أن يهلك من كثرة العمل وانكبابه على كتابة مقالاته أثناء راحته .

قالت « نانسى » :

– لم أقصد أن أظهر بمظهر المتعجرفة . لقد عملت عدة ليال نادلة فى مطعم أثناء دراستى الجامعية حتى إننى أعرف مدى صعوبة هذا العمل .

قال :

– إنى راضٍ عن مهنتى بدون أحقاد .. نادل .

بينما أكمل « دافيد » طعامه ، فكرت فى قوله بنوع من الشك . فهذا لا يتناسب مع ما أبداه من ضمانات فى مكتب «فيكتور» هذا الصباح . كانت « نانسى » شبه واثقة بوجود لغز ما .

– هل سيرضيك إذا أخبرتك أننى صحفى أيضاً ؟

رددت :

– صحفى ؟

أومأ برأسه .

– لماذا لم تخبرنى من قبل ؟

– لست معتاداً على الصياح فوق أسطح المنازل .

– لم لا ؟

– نوع من الحرص وحب التخفى .

تبينت أنه من الأسهل بكثير الحصول على المعلومات من أناس لا يحاولون الظهور بأفضل مظهر أمام الصحافة .

– أى نوع من الصحافة ؟

هذه المهنة تتناسب مع شخصية « دافيد » أكثر من مهنة النادل . كان يعتلى وجهه ونظرته ، علامات خبرة طويلة .

إنه فى الرابعة والثلاثين ، لابد أنه قد رأى وعاش تجارب أكثر مما رأى وعاش كثير من الناس .

– إنى أعمل فى معظم الوقت ، وأقوم بتحقيقات طويلة وتقريرات كبيرة .

استغرق فى تقشير هيكل الكابوريا . ثم مسح يديه فى منشفته .

– أين يمكننى قراءة مقالاتك ؟

– إنى أعمل لمجلات مختلفة .

سرد لها بعض ما كتب ، ومن بين ما كتب مقال جغرافى كانت قد قرأته بشغف منذ عشرة أيام تقريباً .

ثم قلت بهجته عندما تبين أنها لا تتذكر سوى الصور الجميلة الفخمة التى زينت المجلة . على الرغم من قراءتها للمقال فهو لم يشجعها أبداً على السفر .

كان قضاء عطلة نهاية الأسبوع فى منطقة جبلية أو على الشاطئ يرضى ميلها المتواضع للمغامرة . على الرغم من أنها مفعمة

بالرغبة فى معرفة العالم إلا أنها لم تجد أى رغبة فى اكتشاف هذا العالم .

دب فى نفسها شىء من الشك . حاولت أن تتذكر فلم تر أبداً مقالاً موقعاً باسم « دافيد جونسون » .

سألته بصوت متقطع وهى تأكل قطعة أخيرة من الكابوريا :

– هل تكتب تحت اسمك ؟

– كلا . إنى أكتب تحت اسم « تونى جراهام » .

جحظت عينا « نانسى » . الرجل الذى شغل أفكارها منذ شهر لم يكن سوى « تونى جراهام » ! هذا الصحفى المتجول الذى تنقلها مقالاته فى كل مرة إلى الطرف الآخر من العالم ، دون أن تحتاج لمغادرة أريكة صالونها .

إن « تونى جراهام » اليوم عشيقها ! لقد حدث إلى حد ما ، صداقتهما الحديثة ، من مفاجأة الوجود أمام رجل مشهور .

بمعرفتها الرجل الحقيقى الذى يختفى خلف الأسطورة ، لم تعد على نفس الدرجة من التأثر .

ومن ناحية أخرى ، شعرت بموجة غضب .

كيف جرؤ على إخفاء حقيقته ؟ هل كان يخشى ألا تجتذبها شخصيته ؟ « تونى جراهام » .. كان لابد أن أتشكك فى الأمر ..

قال دون أن يخفى سعادته .

– هل هذا الاسم يمثل لك شيئاً ؟

معظم من يقرءون مقالاته لا يعيرون اهتماماً للاسم المكتوب أسفل الصفحة .

– أعرف هذا الاسم بالتأكيد ! إنى مشتركة فى هذه المجلة منذ عشر سنوات تقريباً .

سجل « دافيد » هذه الملاحظة . ها هى امرأة تقول : إنها لا تميل إلى المغامرات ، بينما تقرأ بشغف كل شهر مجلة متخصصة فى نشر معلومات عن بلاد فى طرف العالم .

سألته وهى تحدّق فيه النظر :

– هل أنت من كتبت مقالاً عن المجاعة فى أثيوبيا ؟

أومأ برأسه .

– أنت أيضاً من كتبت مقالاً عن إهدار غابات البامبو فى الصين.

أجاب « دافيد » .

– نعم .

– أنت من وضعت جزيرة « بيلو » على الخريطة ؟

ابتسم ابتسامة واهية .

– إنها على الخريطة بالفعل . ، نانسى ، لماذا تلومينني بالضبط ؟ لأننى صحفى أم لأنى لم أخبرك من قبل؟ .. أجابته بسؤال آخر .

– وأنت ما الذى تخشاه أكثر ؟ أن أطلب منك ذكر اسمى فى مقال أو أن أعطيك معلومات خاطئة ؟

– لا الأولى ولا الثانية .. إن التخفى أصبح عادة بالنسبة لى ..

– لقد كذبت علىّ .

– أبداً . إننى أعمل نادلاً بالفعل .

رفعت حاجباً ساخرة .

– ، نانسى ، هل تريدين إنهاء علاقتنا ؟

– لست أدرى . هذا يتوقف على القصة التى ستؤلفها لتخبرنى عن مكان إقامة ، تونى جراهام ، العظيم !

أشرق وجه ، دافيد ، .

– الإجابة سهلة : عندك إذا كنا سنتناول القهوة قبل أن نعود إلى منزلك .

* * *

الفصل السادس

تغلبت دهشة ، نانسى ، على غضبها . جلست فى هذا المقهى الذى لاذا به وعيناها مثبتتان على قدح القهوة ، كانت تتساءل فى أى لحظة كانت قد فقدت عقلها . هل عندما وقعت العقد مع ، ستيف ، أم قبل ذلك ؟ هل قوض عيد ميلادها الثلاثون أهليتها فى التفكير ؟

فى شهر واحد ، خسرت شركتها ، عملها ، وخطيبها .

ها هى تتأهب لمشاركة ، تونى جراهام ، فى مسكنها ..

كان من الواضح أنها لا تسيطر على الأحداث .

قال :

– لا تدعى أنه ليس لديك مكان كافٍ .

رفعت رأسها بعصبية .

– أنت مجنون تماماً ..

– هل تقصدين بذلك الموافقة أم الرفض ؟

جلس بجانبها وأحاط كتفيها بذراعه .

التفتت إليه وعلى الرغم من قلة الضوء إلا أنها لاحظت لمعة ماكرة فى عينى ، دافيد ، ، هل كان مزاحاً فقط ؟

– هل لا تجد مكاناً حقاً تذهب إليه ؟

أجابها :

– إنها ليست مأساة . لم آخذ قراراً صارماً ، هذا كل ما فى الأمر .

– كيف لك أن تستهين بالأمور على هذا النحو ؟ سأجن من شدة اندهاشى .

قال وهو يرفع ذقنها لينظر فى عينيها .

– ذلك لأنك تقارنينى بأبيك وأنا لست أباك .

– أعرف .

– إن عملى يحتاج إلى كثرة الانتقال . كلما أكثرت من الطواف فى أنحاء العالم، زادت فرص اكتشاف الموضوعات الشيقة لمقالاتى.

– نعم ، لكن ..

– لقد قلت لى : إن والدك كان فى بحث دائم عن « الفروة الذهبية » ، هذا ليس شأنى . أنا لا أبحث عن شىء . إنى أسافر لأنى أستطيع ذلك . الآن ، أنا لست مرتبطاً بمكان محدد : الانتقال من مكان إلى آخر أكثر سهولة من الاستقرار فى مكان بعينه .

شعرت المرأة الشابة بنوع من الحسد تجاه « دافيد » .. ثم أومأت برأسها . عندما كانت تستمع إلى « دافيد » ، كانت الأمور تبدو فى غاية البساطة .

سألته بصوت يتظاهر بعدم الاكتراث .

هل جئت إلى هنا لتكتب مقالاً ؟

اقترب منها .

– لقد جئت من أجلك . اعتقدت أنك فهمت ذلك .

تبدد شعورها بالغضب . لكنها ظلت مفعمة بالفضولية .

– أين كنت تسكن قبل « تاهوى » ؟

– فى « ألمانيا » .

– وقبل ذلك ؟

– فى أيرلندا .

شرب القهوة وأشار إلى النادل .

– لقد مكثت هناك ستة أشهر . عملت فى مطعم للصيادين . بفضل هذه التجربة استطعت أن أقنع ابن عمى بأن يستخدمنى فى مشرب الفندق .

– لماذا لديك الشعور بأهمية مزاولة مهنة أخرى غير مهنتك ؟ ألا تشغلك مهنتك كصحفى بالقدر الكافى ؟

قال :

– أحب مرافقة الناس .

قطع حديثه ليطلب قدحين آخرين من القهوة .

– ألا تأخذ فى الاعتبار أن الاقتراب من مكان ما وأنت شخص مرموق أكثر سهولة . كما أن الناس يثقون بسهولة أكثر فى الوجه المشهور .

رجع النادل ومعه القهوة ، انتظرت حتى يضعها ثم استطردت :

– أية مهنة من مهنك ستساعدك على النيل من « ستيف » .

– أنت محقة : لقد تحدثنا بالقدر الكافى عنى . دعينى أشرح لك ما يدور برأسى بشأن هذا الأحمق « ستيف » . بهذه الطريقة لا نذكر اسمه عندما نعود إلى المنزل على الأقل حتى الصباح .

– اسمح لى أن أذكرك بأننى لم أوافق بعد على إيوائك فى بيتى .

– لا أستطيع أن أنام بدونك يا « نانسى » . امنحينى هذا المساء ، وسنتحدث عن الغد عندما تشرق الشمس . يجب أن تعلمى ، مع ذلك، أن قرارك لن يغير من عزمى شيئاً . سأساعدك بكل طريقة . ولن أفقد رغبتى فيك ..

تأثرت المرأة الشابة فى أعماقها بوفاء « دافيد » ، أصبحت مجرد فكرة أن يكون بعيداً تجعلها ترتجف من القلق .

قال « دافيد » .

– لكنك أنت من تقررين ؟

قالت بتنهد .

– ابق . أرجوك . إنى بحاجة إليك .

لم تنو الإفصاح عن رغبتها بهذه الصراحة إلا أنها لم تستطع قمعها .

لم يقل شيئاً .. بل احتضنها بشدة ، ثم ابتسم ابتسامة رضا ملأت قلب المرأة الشابة بالدفء .

– الآن ، نرجع لموضوعنا الأساسى .

تنهدت فى حسرة ، لا يجب أن يشغلها أى شىء أكثر من مصير شركتها . لكن الحقيقة أنها وجدت متعة كبيرة فى الحديث الودود .

ماذا سيحدث إذا بلغ « ستيف رولاند » ، فجأة أن سلسلة فنادق دولية ترغب فى استقبال محلات « حلوى أماندين » فى ملحقاتها التجارية؟ ألا تعتقدين أننا إذا قدمنا له ذلك العرض سيبتلع الطعم ؟

– لا يستطيع أحد أن يصمد أمام عرض كهذا .

لكن لنفترض أن عرضاً كهذا سيقدم إليه ، ألا يزيده مثل هذا العرض تمسكاً بمحلات « حلوى أماندين » ؟.

أجاب « دافيد » بابتسامة غامضة .

– فى البداية ، هذا ما يجب توقعه . لكن عندما ينتهى الأمر ، سيرد لك « رولاند » شركتك ويولى هارباً .

– يجب أن توضح لى أكثر . كم من القوانين يجب علينا انتهاكها حتى نصل إلى هذه النتيجة ؟

– استمعى إلى جيداً . سنبدأ بأن نقنع « رولاند » أن شركة ذات اتساع دولى تهتم بمحلات « حلوى أماندين » . أعرف رجلاً يستطيع أن يعطينا أوراقاً مطبوعاً على رأسها اسم فندق « براديز سنغافورة » . إن « ريتشارد » صديق قديم يتصور أنه مدين لى . سيرسل إلى «رولاند» خطابا يقترح عليه فتح أبواب منشآت ذات شأن أمام محلات « حلوى أماندين » .

– هذا يمثل رقم واحد .

– ماذا تعنين ؟

– أعنى أول قانون ننتهكه .

اكتفى بهز كتفيه .

لم ير أحد ولم يسمع .

لم تكن « نانسى » موافقة تماماً على هذه الخطة ، لكنها قررت أن تصمت الآن . سرقة ورقة مدون أعلاها اسم الفندق ، كانت أول همومها ..

– وإذا طلب « ستيف » أن يقوم ببعض التحريات ؟

– لن يفعل ذلك . على أية حال ، لن يفعل ذلك على الفور .

لن يجد ما يثير شكوكه . ثم إن الخطاب سيتبعه مكالمة هاتفية من « ريتشارد » هذا إذاً .. سيذهب رأساً إلى سنغافورة ؟! .

– كلا إنه هناك بالفعل . لقد اتصلت به عندما كنت فى الحمام .

رفعت حاجبها .

– تحدثت معه عن كل هذا قبل أن تشرح لى ؟

– لن أتفاخر أمامك .. لم أكن متيقناً من مدى صلاحية الخطة للتنفيذ .

– كم هذا لطيف منك !

– مهما حدث ، سيغريه « ريتشارد » بعقد مدهش .

سيقنع « رولاند » بالموافقة على مقابلته فى « سان فرانسيسكو » الأسبوع القادم .

– هل سيأتى « ريتشارد » إلى « كاليفورنيا » ؟. سيتحتم علىّ دفع تكاليف سفره ، أتخيل ذلك .

ابتسم « دافيد » ابتسامة المنتصر .

– لديك شيك بمبلغ أربعة آلاف وخمسمائة دولار يعانى الملل على منضدة الزينة . قلت لنفسى إنك ستستطيعين صرفها فى المكان المناسب .

أبدت ، نانسى ، استياءها ثم أعلنت موافقتها بهز رأسها .

– إذن ، سيقابل ، ريتشارد ، ، رولاند ، ويقدم له عرضاً مفسراً ومغرياً للغاية حتى لا يستطيع رفضه .

ألن يكون لديه أدنى شك ؟

– ، رولاند ، يعلم أن محلات ، حلوى أماندين ، لها سمعة طيبة فى قطاع التغذية الراقية ، ولهذا السبب استأثر بشركتك . سيعرف «ريتشارد ، كيفية اللعب على هذا الوتر الحساس ، مؤكداً أن فنادق «براديز ، لا تدعو إلا الأفضل فى كل مجال .

وأن فنادق ، براديز ، لن تستقبل محلات ، حلوى أماندين ، إلا إذا فتحت الشركة فى أقصر فترة ممكنة محلاً لها فى الملحق التجارى للفندق .

– وإذا أراد ، ستيف ، التحقق من أقوال محدثه ؟

– ليست هناك مشكلة . سيعطيه ، ريتشارد ، بطاقة مدوناً فيها رقم تليفون غير صحيح . الشخص الذى يتعين أن يكون على الطرف الآخر من الخط سيعرف الإجابة عن كل تساؤلاته .

– وإذا اتصل بفندق ، براديز ، فى ، سنغافورة ، مستعيناً بدليل أرقام التليفونات ؟

فكر ، دافيد ، جزءاً من الثانية قبل أن يجيب :

– سأخبر ، ريتشارد ، أن يشير فى حديثه إلى أن رقم هاتف الفندق قد تغير ، وأن الرقم الموجود فى الدليل لم يعد فى الخدمة .

– نعم بدأ الأمر يستقيم . سننفق بضعة آلاف من الدولارات لنقنع ، ستيف ، بأن فنادق ، براديز ، ستفعل تماماً ما كان وعدنى هو به ، لكن تلك المرة على نطاق دولى . لن يستطيع أن يقاوم .

– سيعرض عليه ، ريتشارد ، مزايا العرض . سيخبره أنها فرصة لا تعوض وأن هناك عدداً من المحلات قد أخلى لتوه .

سيطالبه بتعهد تحريرى بتاريخ محدد ، ليكن هذا التاريخ قبل تاريخ الإقرار النهائى لعقدك معه .

– لكن لن يستطيع ، ستيف ، أن يفعل شيئاً قبل هذا التاريخ .

قانونياً ، لن تكون شركة ، حلوى أماندين ، ملكاً خالصاً له حتى هذا التاريخ . فلن يستطيع إذن توقيع أى اتفاق بدون موافقتى .

– هذا صحيح . لكن لن يكون هذا الاتفاق سارياً إلا عندما تؤول ملكية شركة ، حلوى أماندين ، إلى ، رولاند ، قانوناً .

بمجرد أن يبتلع ، رولاند ، الطعم سيدفع له ، ريتشارد ، ضماناً قدره عشرة آلاف دولار .

– ألن يكون من الطبيعى أن يدفع ، رولاند ، عربوناً ؟

– ليس بالضرورة . فى حالتنا ، يمثل هذا المبلغ . جزءاً من الطعم .

سيقال : إن فنادق ، براديز ، تعى تماماً مصروفات الإعلان ، وخاصة فى الخارج ، يمكنها خمد حماس شركة ، حلوى أماندين ، .

ستشكل النقود عوناً على البدء والإسراع فى المشروع .

أومأت ، نانسى ، برأسها . حتى الآن . كل شىء واضح ، بخلاف جزء مهم .

– ما مصير العشرة آلاف دولار إذا لم أستطع استعادة شركة ،حلوى أماندين ، ؟

– سيكون شيكا مزوراً . هذا سهل جداً .

كان ، دافيد ، يبدو واثقاً بما يقول .

– سيحصل ، ستيف ، إذن على شيك مزيف . ألن يستشيط غضباً من جراء ذلك ؟

– وما أهمية ذلك ؟

كانت ، نانسى ، مضطرة إلى إبداء سبب قلقها بهذا الشأن .

مع كل هذا ، كان هناك ما يقلقها فى هذه الخطة .

– ألن يثير هذا الإخلال بأمانة الوظيفة المشاكل على صديقك ،ريتشارد ، ؟

– إذا لم تسر الأمور كما خططت لها وإذا فقدت شركة ، حلوى أماندين ، نهائياً ، فلن يجد ، رولاند ، أثراً لـ ، ريتشارد ، . ثقى بى يا ، نانسى ، . نحن نحتاج إلى العشرة آلاف دولار حتى نمسك بالسمكة . وإلا ، فسيشعر ،رولاند ، بإمكانية فسخ الاتفاق فى أى لحظة . وعلى العكس ، إذا حصل على النقود ، فسيكون من المستحيل أن يرجع خطوة إلى الوراء .

كان لابد لـ ، نانسى ، أن تعترف بصحة هذه الحجة .

– الآن ، حدثنى عن الاتفاق الذى سيوقعه .

– سيكون اتفاقا مبهماً . بعض صفحات تبدو فى مظهرها أوراقاً رسمية ليعتقد ، رولاند ، أنه مرتبط من الناحية القانونية .

– ما الذى يجعلك تعتقد أنه سيوقع ؟

– إنى أعتمد على إغراء المكسب . كل ما قلته عنه يجعلنى أتصور أنه سيقع فى الفخ .

قالت وهى تومئ برأسها فى إعجاب .

– أنت على حق . يجب أن أعترف بأنك فكرت فى كل شىء .

– إنى سعيد لموافقتك .

سألته .

– ومتى سيتغير ؟

– عندما تتدخلين أنت . سنرتب لقاءك به بعد مقابلته مع «ريتشارد» عندما يودع الشيك فى البنك .

– كيف عرفت أنه سيسرع إلى البنك ؟

– إن الأمر يتعلق بشيك يتعهد بحساب للخارج ، وصادر عن رجل سيبدأ العمل معه من الأسبوع القادم . صدقينى أول ما سيفعله هو الذهاب إلى البنك .

عندما رآها متشككة ، أضاف :

– إن « رولاند » رجل أعمال . لن ينفق مليماً ما لم يودع الشيك فى حسابه .

عندما وافقته على تفكيره استطرد :

– عندما سيراك « رولاند » لن يستطيع قمع رغبته فى التفاخر .

هنا يأتى دورك . هل تتذكرين ما قلته لى عن « تاهوى » بأنك قمت بتمثيل دور ؟

– نعم أذكر ذلك .

– حسناً ، إنى أمنحك دوراً مماثلاً . عندما يقبل « رولاند » عرض الفندق ، ستخبرينه أنك علمت من مصدر موثوق به أنه فى سبيل التورُّط مع أشخاص خطرين . أشخاص لهم علاقة وطيدة بتجارة المخدرات .

قالت غير مصدقة :

– وهل سيصدقنى ؟

أكد « دافيد » :

– سيصدقك . وسيخشى ألا يستمع إليك .

تنفست « نانسى » بعمق وقد ثبتت عينيها على شعلة الشمعة التى أمامها . كانت تشعر بالإثارة . كان لديها شعور بأنها تتورط فى مغامرة كبيرة .

– سأكون أكثر ثقة إذا شرحت لى ما يدور برأسك .

وما الذى يتعين علىَّ فعله بالضبط ؟

– سيكون لدينا الوقت لشرح ذلك . لكن بشكل عام ، الرسالة التى عليك تبليغها لـ « رولاند » هى ، أن فنادق « براديز » اتصلت بك العام الماضى وقدّمت لك نفس العرض .

ورفضت .

– لماذا أرفض فرصة عظيمة كهذه ؟

لأنك استشرت المحامى الذى اكتشف بدوره أن تلك الفنادق على علاقة مريبة مع المافيا . وبالتحديد فى مجال النقود المزيفة والمخدرات فحذرك « فيكتور » إذن بالابتعاد .

توقع أن المافيا بحاجة إلى شركة ، حلوى أماندين ، لتسهيل عملية ترويج المخدرات أو لغسيل النقود ، تحويل النقود المزيفة إلى نقود حقيقية ، لست بحاجة لتحديد أكثر من ذلك .

ابتسمت ، نانسى ، .

– سيصاب ، ستيف ، بالفزع ؛ لأنه وقع لتوه اتفاقاً مع أباطرة المخدرات .

– بما أنه قبل نقودهم . باختصار ستجعلينه يعتقد أنه وقع فى كارثة محققة .

أخرج ، دافيد ، حافظته ليسدد الحساب .

– لو كان ، رولاند ، يتمتع بقدر من الحكمة ، سيلاحظ أن الطريقة الوحيدة للإفلات هى الرجوع عن شراء شركة ، حلوى أماندين ، ، سيتصور أنه ستقع عليك مسئولية الاتفاق الموقع مع فنادق ، براديز ، .

– لكن إذا شعر بوجود حيلة فى الموضوع ؟

وقف ، دافيد ، وساعد السيدة الشابة على النهوض .

– لن يمهله الوقت . لهذا ستقومين بدورك ليلة سريان العقد الذى وقعته مع ، رولاند ، الذى سيأكله القلق .

– هل تريدنى أن أفصح لك يا ، دافيد ، .

– عن ماذا ؟

– هناك احتمال كبير أن تنجح الخطة .

قال وهو يقبلها قبلة خاطفة :

– ستنجح بالتأكيد . ثقى بى ولن أخذلك أبداً . سنتولى أنا و،ريتشارد ، إرباك هذا المسكين ، رولاند ، وسيكون شغلنا الشاغل هو إرجاع شركة ، حلوى أماندين ، إليك على طبق من فضة .

لقد وثقت بك دوماً يا ، دافيد ، . وحتى اليوم ، لست أدرى لماذا .

استرخى ، دافيد ، على السرير يحملق فى السقف . نائمة بجانبه ،نانسى ، وقبضتا يديها مغلقتان . لقد أولته ثقتها لماذا يحاول الإنكار ؟ لقد وقع فى حبها بجنون .

تفوهت ، نانسى ، فى نومها بكلمات غير مفهومة ثم تشبثت به .

فكر ، دافيد ، فى أول لقاء لهما فى ، تاهوى ، . لقد تقابلت نظراتهما كما لو كان بفعل السحر اعترف الاثنان بأنهما شعرا بنفس الشىء .

كان هذا الشىء هو ، الحب ، حتى ولو لم ينطقا بالكلمة .

هل هذا من المعقول ؟ أم أن ،دافيد ، قد انحرف تفكيره ؟

هل كان مصاباً بفيروسات غامضة أحياها لقاؤه بـ ، نانسى ، ؟

مسح على شعر المرأة الشابة متسائلاً إذا كانت تعى ما هى مقدمة عليه من صعوبات .

* * *

الفصل السابع

أمضيا الصباح فى تحرير خطاب موجّه إلى « رولاند » . كان يحوى عرضاً واضحاً ومباشراً لنيات فنادق « براديز » بصدد شركة «حلوى أماندين » ، فى نهاية الخطاب ، يعبر « ريتشارد » عن رغبته فى مقابلة « رولاند » أثناء إقامته القصيرة فى « سان فرانسيسكو » الأسبوع القادم . كتب « دافيد » الخطاب على جهاز الكومبيوتر ثم ارتشف القهوة بينما خرجت ورقتان من طابعة الكومبيوتر .أسرعت «نانسى » وأمسكت بالورقتين قبل « دافيد » اقتربت من النافذة وقرأتهما بسرعة . لفت انتباهها الاسم الذى وقع به أسفل الخطاب .

– « ريتشارد هوبز » ، مدير عام فنادق « براديز » ! وإذا كان «رولاند » يعرف المدير الحقيقى للفندق ؟

أطفأ « دافيد » جهاز الكومبيوتر بهدوء .

– هل تعرفين أنت المدير الحقيقى لفنادق « براديز » ؟

– لكن هذا لا يعنى شيئاً .

– على حد علمى أن المدير الحقيقى رجل كتوم . يخشى الإعلان .

وبما أنه لا يمتلك شيئاً على الأراضى الأمريكية ، فلا تهتم به المجلات الاقتصادية على الإطلاق .

شعرت « نانسى » بالاطمئنان .

استطرد :

– سأخرج لأرسل هذا الخطاب لـ «ريتشارد» عن طريق الفاكس .

فى تلك الأثناء ارتدى ملابسك . يمكننا إيجاد شىء مسلٍ لبعد الظهر ..

ومضت عينا المرأة الشابة ببريق من الفزع .

– هل ستخرج ؟ الآن ؟ كيف لك أن تفعل شيئاً كهذا ؟

– اعترف : ليس من السهل علىّ أن أفعل ذلك .

قالت والابتسامة تعلو شفتيها :

– أوه .

نظرت إليه وهو يخرج من حقيبة سفره قميصاً مخططاً بخطوط حمراء وبيضاء . بعد أن لبسه ، مر بيده على ذقنه كما لو أنه يتذكر إذا كان قد حلق .

تذكرت « نانسى » أنه عند خروجها من الحمام ، شاهدته وهو يمسح المرآة ليفرد كريم الحلاقة بصورة أفضل على وجهه .

وقبّلته فتلطّخ وجهها هى الأخرى بالرغوة .

– ما الملابس التى يجب أن ألبسها للبرنامج الذى أعددته برأسك ؟

كان « دافيد » يمشط شعره أمام المرآة . وضع المشط وأصدر تنهيدة .

– « نانسى » ، توقفى لقد أثرتنى .

ابتعد « دافيد » عن المرأة .

– يجب أن يكون الحمل أمراً اختيارياً وليس أمراً واقعاً أو نتيجة عفوية .

كان يجاهد حتى يسيطر على رغبته فى « نانسى » ، لكن صورتها وهى حامل منه أقنعته بسداد قراره . أن ينجب منها ويؤسس أسرة .

همست « نانسى » من جانبها .

– حامل ..

كانت همسة خفيفة ومع ذلك دوّت الكلمة فى الحجرة كأنها صوت الرعد .

سألها .

– هل تريدين الحمل ؟

هزت ، نانسى ، رأسها .. كانت مضطربة ومشوشة مثلما كانت مساء لقائهما فى تاهوى .. سألها فى مكر ألا تريدين أطفالاً ؟.

هزت ، نانسى ، حاجبيها بينما تشبثت يدها بصوان الملابس .

– لست أنوى مناقشة ذلك مع رجل ليس لديه عنوان ثابت .

لم يندهش ، دافيد ، من أن ، نانسى ، تربط وجود الأطفال بوجود المسكن ، بقدر ما أدهشه أن ، نانسى ، ترفض اقتراحه جذرياً لسبب واحد هو أنه لا يمتلك مسكناً ثابتاً .

– هل تقصدين أننى لا أستطيع أن أكون أباً لأنى مازلت أنتقل بين العناوين ؟

– لا تقل على لسانى ما لم أنطق به .

– لكن مع هذا ..

– كان أول شىء خطر بذهنى . عندما أتحدث عن الأطفال .

أقول أى شىء .

همس ، دافيد ، .

– كان مجرد سؤال . طريقتك فى نطق كلمة ، حامل ، جعلتنى أتصور أنك لن تمانعى فى أن ..

قاطعته :

– أعتقد أنه يجب عليك أن ترحل .

ابتسم ، دافيد ، وانحنى ليأخذ حذاءه من تحت السرير .

جعلته حالة الاضطراب التى بدت على ، نانسى ، يتمنى لو أن مشاعرها نحوه تتعدى الثقة لتصل إلى ما هو أكثر من ذلك .

نهض ، دافيد ، ، ذهب ليحضر الخطاب من الغرفة المجاورة ، وضعه فى جيبه ثم لبس الجاكت الذى قد تركه على ظهر المقعد . عندما عاد إلى الحجرة ، وجدها فى مكانها .

قال .

– لا تقلقى . سأكون حذراً حتى لا تحملى .

تأوهت فى اعتراض وأسندت رأسها على كتف ، دافيد ، .

– ليس هذا ما يقلقنى .

– ماذا إذن ؟

رفعت رأسها .

– أشعر أننى لا أعرف ماذا أفعل أو ماذا أقول . أنت توقظ فى داخلى مشاعر كنت أجهل وجودها .. أخشى ألا أعرفها بعد رحيلك .

أخذ قلب ، دافيد ، يخفق بشدة . هل تعرف ، نانسى ، مدى الآمال التى أحيتها فيه كلماتها ؟ أحاط وجهها بكفيه وهو يبحث عن الكلمات التى تستطيع تبديد مخاوفها .

– من الذى قال لك : إننى سأرحل ؟

تخلل عينى ، نانسى ، بريق سعادة – أكان هذا هو الحب ؟

لكن سرعان ما إن تبدد هذا البريق بنفس السرعة التى ظهر بها .

ليحل محله مزاح ساخر .

– أوه ! سترحل يا ، دافيد ، .. ليس من طبعك أن تبقى طويلاً فى نفس المكان .

كانت على حق . ومع ذلك يبدو أنها أساءت فهم كلماته إلى حد ما . فهو لم يقل أبداً : إنه متمرد تماماً على فكرة الاستقرار فى مكان محدد ، لكنه لم يلق الفرصة فحسب ليستقر .

لكن كيف يفهمها أنه يستطيع العيش فى أى مكان ما دام بجانبها ؟

سترفض أن تصدقه .

سألها ، دافيد ، وهو سعيد بأنه استطاع أن يتطرق إلى الموضوع بخفة :

– هل لى أن أفهم أننى ملزم بالبحث عن سرير آخر لقضاء هذا المساء ؟

تأملته لحظة طويلة قبل أن تومئ برأسها .

– يمكنك البقاء .. وللمدة التى تريدها .

تنهد فى ارتياح . سيبقى بجانبها إلى أن تنتهى عملية استرجاع شركة ، حلوى أماندا ، أما البقية فستتوقف على ، نانسى ، .

سألته المرأة الشابة .

– هل يمكنك أن تحضر لى بعض البرتقال ؟ بما أنك ستبقى معى، سأعد لك عصير البرتقال الطازج للإفطار .

– أذكرك بأننا قد تناولنا فطورنا . هل تذكرين ؟؟ لقد صحوتِ عندما أسقطت فتات الخبز على الملاءات .

همست ، نانسى ، .

– أتحدث عن الغد .

تورد وجهها وهى تفكر فى إفطارهما هذا الصباح .

كان ، دافيد ، قد أحضر لها القهوة والعيش المحمص فى السرير ، على الرغم من اعتراض ، نانسى ، على ذلك .

– فى الحقيقة غيرت رأيى : لا داعى لأن تغيرى ملابسك .

سنقضى بعض الوقت معاً قبل أن أخرج .

كانت متعتهما تزداد كلما طال الوقت الذى يقضيانه معاً .

طبعت ، نانسى ، قبلة رقيقة على جبهته ، ثم نهضت متهربة من لمسات ، دافيد ، التى لاحقتها .

قالت بنبرة بها سخرية :

– استرح . أنت تحتاج فعلاً للراحة .

– إنى أستحق الراحة أليس كذلك ؟

ابتسمت ثم اختفت فى الحمام ، حيث أخذت تتأمل وجهها فى المرآة كما لو أنها تبحث عما طرأ بها من تغيير قد شعرت به فى داخلها . لكنها لم تر إلا وجه « نانسى » .. المرأة التى اعتادت أن تراها كلما نظرت فى المرآة . نفس العينين، نفس الأنف، نفس الوجنتين.

ما الذى يعجب « دافيد » فيها إذن ؟

لا يمكن لرجل مثل « تونى جراهام » أن يعجب بفتاة تشبه زبدة الشوكولاتة والكلمات المتقاطعة . فهو يعلم بطبيعتها السطحية أكثر مما تعلم هى . ألم يحن الوقت لوقف هذه المهزلة ؟

قبل أن تقع فى حبه ، قبل أن يتركها ويذهب إلا الأبد .

لابد أن توقف كل شىء الآن ، قبل فوات الأوان .. ستظهر لـ«دافيد » وجه « نانسى ستيوارت » الحقيقى امرأة غير مميزة ، ليس لها أهمية – بالنسبة لشخص مثل « تونى جراهام » المشهور .

أخذت حماماً سريعاً ثم خرجت لتدفع « دافيد » خارج الغرفة لتتصرف على راحتها . وأثناء وجود « دافيد » فى الحمام أخرجت «نانسى» من خزانة الملابس ثوباً واسعاً قليلاً بالنسبة لحجمها «زهيد الألوان وفى النهاية لا يبرز جمال جسمها .

كان هذا هو مظهرها المفضل عندما تكون بمفردها .

لم تضع المساحيق ، ولا عطراً نفاذاً . اكتفت بأن صففت شعرها بثلاث لمسات من الفرشاة ثم ثبتت على رأسها شريطا عريضاً.

« نانسى » « الطيبة العجوز » . كانت أكثر بساطة من الطبيعى .

تجنبت صورتها فى المرآة وغادرت الغرفة . وفى المطبخ ، أعدت سندويتشاً به زبد الشوكولاتة ، ثم لبست حذاء تنس قديماً ونزلت درجات السلم الخارجى . بعد دقيقتين كانت جالسة على حافة المعبر الخشبى .

عبر « دافيد » الصالون وألقى نظرة على المطبخ . لم تكن «نانسى» هناك . نظر من النافذة فرأى المرأة الشابة عند سفح الجبل .

كانت تطعم عشرات البط الذى كان يسبح عند قدميها .

لبس « دافيد » حذاءه والـ « تى شيرت » بسرعة . ثم التقط وهو فى طريقه للخروج فتات الخبز الذى تركته « نانسى » على منضدة المطبخ . ابتسم عندما لمح علبة زبد الشوكولاتة . وتساءل إذا ما كانت ستقبل أن تغير هذا النوع ، لأنه كان يفضل نوعاً آخر .

ومن ناحية أخرى ، يمكن لكل منهما أن يحتفظ بعلبته الخاصة .

كان لديهما الموارد التى تكفل لهما مثل هذا الترف ..

وفى طريقه نحو المرأة الشابة ، لاحظ أن الخبز الذى تأكله أكثر مما تعطيه للبط قال وهو يجلس بجانبها محركاً ساقيه فى الهواء .

– لا يبدو أن هذا البط مولع بزبد الشوكولاتة .

– أنا لا أعطيه سوى الخبز .

اندهش ؛ لأنها لا تنظر إليه .

– لقد أحضرت معى خبزاً من أعلى ، شعرت أنك لن تستطيعى سد الطلب .

– شكراً .

أخذت شريحتين من الخبز وقطعتهما ووضعت الفتات فى ثنية ثوبها . عندما رأت أنها كافية ألقت بها جميعاً فى الماء .

تنازع البط تلك الوليمة مدة ثوان فى جلبة وهياج .

أعادت « نانسى » الكرة متجاهلة « دافيد » .

انتهى به الأمر إلى أن قال :

– هل تفضلين أن أصعد ؟

رمقته بنظرة سريعة .

– يمكنك البقاء إذا أردت . لم يبق إلا القليل . لدى عمل ينتظرنى فى المنزل بعد الظهر .

– هل يمكننى مساعدتك ؟

قالت وهى تهز رأسها .

– كلا ، شكراً . أريد فقط أن أغير الملاءات .

باختصار أقوم بالأعمال المنزلية .

– سأغسل إذن زجاج النوافذ .

– لا أستطيع أن أتخيل « تونى جراهام » العظيم يقلل من شأن نفسه فى تلك الأعمال المنزلية الوضيعة .

أوضحت هذه الإجابة كل شىء لـ « دافيد » .. مازالت المرأة الشابة تستهين بقدر نفسها . كان لابد وأن يفهم ذلك عندما رأى علبة زبد الشوكولاتة .

قال :

– يمكننى أيضاً الكنس بالمكنسة الكهربائية وتلميع الباركيه .

ساد الصمت برهة .

– أحب أيضاً إطعام البط .

« دافيد » يجب إيضاح الأشياء .. إن حياتك مثيرة .

أما حياتى فليست كذلك . باستثناء شركة « حلوى أماندين » ، فحياتى غاية فى الملل إذا ما قارنتها بحياتك ، إنى أحب ملازمة البيت ، تروق لى الملابس الواسعة المريحة ولا أضع المساحيق .

أقوم بالأعمال المنزلية بنفسى ولا أستخدم طقم الصينى إلا فى مناسبات نادرة جداً ليس أكثر من مرتين فى السنة .

ساد الصمت بعد هذا القول المسهب بينما أصيب « دافيد » بالدهشة بسبب الصراحة المتناهية التى تحدثت بها السيدة الشابة .

لقد وصفته بأنه « بلى - بوى » ليس لديه مسئوليات ، ويحتقر الأعمال المنزلية .

كان سينفجر فى الضحك لو لم تظهر « نانسى » بهذا المظهر الجاد .

لكنه قرر أن يتركها تخوض فى حديثها ..

تصر على أن تثبت أنهما ليسا لبعضهما ، فتركها تفعل ذلك دون تذمر .

حتى تتاح له فرصة أفضل لكى يثبت لها العكس على الفور ..

وضع يده فى جيبه وأخرج شريحة خبز أخرى أعطاها للسيدة الشابة دون أى تعليق .. بينما كانت تحملق فى الماء بحزن ، لاحظ «دافيد» ثوبها ووجهها المجرد من المساحيق . هل فعلت ذلك لاعتقادها بأن هذا سيقبحها ؟

ستظل « نانسى » دائماً أجمل امرأة فى العالم . لكنها لا تعرف عن ذلك شيئاً . كان « دافيد » يعتمد على حبه فى إصلاح هذا الموقف .

- والآن ، بعد أن أحصيت كل خصالك الحميدة ما أهم خصالك السيئة ؟

تظاهرت « نانسى » بالغيظ قائلة :

- أنت لا تريد أن تفهم ، أليس كذلك ؟

- أفهم ماذا يا عزيزتى؟ إنك تعتقدين أننى لا أتحمل أى مسئولية، وغير جدير بأن أواجه تفاصيل الحياة اليومية .. تردد « دافيد » بين أمرين هما : أن يقبل السيدة الشابة أو يقذف بها فى الماء .

صاحت « نانسى » وهى تنهض فى وثبة .

- هذا لن يغير فى الأمر شيئاً ! حاولت فقط أن أذكرك بأن لكلينا أسلوبين متباينين فى الحياة .

- ماذا فى ذلك ؟ ماذا سيغير ذلك ؟

حملقت « نانسى » فى الماء وقد فرغ صبرها ، لكنها كانت تعرف أيضاً أنها لا تستطيع أن تتعارك معه كما تضرب كلباً بقدمها . كان حبه قد بدأ يدب فى قلبها وهى تعلم بأنه فى يوم من الأيام سيخرج من حياتها .

أصدرت تنهيدة طويلة :

- آسفة يا « دافيد » ، أتصور أن مشكلة شركة « حلوى أماندين » قد جعلتنى عصبية .

وضع يديه القويّتين على كتفيها .

– هل تعدينني بعدم معاودة البحث عن أسباب الشجار ؟

– أعدك .

كان « دافيد » قد نزل إليها ليعرب لها عن حبه ، لكنه عدل عن رأيه . كان الوقت مبكراً ..

لقد واجهته السيدة الشابة بما يدور فى خلدها من شكوك وقلق .

كان يحبها .. لكن هذا ليس كافياً .

لابد أن يكون حباً متبادلاً .

* * *

الفصل الثامن

بعد يومين ، توصّل « دافيد » و « نانسى » إلى طريقة مرضية للعيش معاً . لقد خصصت السيدة الشابة مكاناً فى صوان ملابسها لملابس ضيفها ، وخاصة بنطلونات الجينز العديدة التى تمثل الجزء الأساسى من ملابسه . لقد علقت « نانسى » ستة بنطلونات فى الشماعة وبجانب كل بنطلون قميص مناسب ، كما علقت بدلة .

لقد أخلت مكاناً على منضدة الزينة القيمة لأدوات الحلاقة الخاصة بـ« دافيد » .. وشعرت بنوع من الإثارة عندما رأت هذه الأدوات على منضدة زينتها .

لم تعش « نانسى » مطلقاً مع رجل . ولم تتوقع أبداً أن الأمر بهذه السهولة . كانت تفكر فى تسوية صعبة وتدريجية . فى الحقيقة كانت قد نظمت حياتهما المشتركة بشكل طبيعى للغاية ، حتى إنها تساءلت لماذا لم تبدأ حياتهما المشتركة فى وقت مبكر عن هذا .

من ناحية أخرى ، ربما كان الوضع مختلفاً إذا ما كان الأمر يتعلق برجل آخر .

كان « دافيد » بدون منازع هو العنصر السحرىّ فى الاندماج الرائع .

أخبرها ، دافيد ، وهو يدخل إلى الحمام حيث كانت ، نانسى ، منكفئة إلى الأمام تجفف شعرها وقد أحاطت رأسها بمنشفة .

– لقد اتصل ، ريتشارد ، أثناء ما كنت فى الحمام .

إنه على موعد مع ، رولاند ، فى خلال أسبوع .

– هل هذا صحيح ؟

– بالتأكيد بما أننى أنا الذى يخبرك . ماذا لو أتيت لتجففى شعرك فى الشمس ؟

تركت السيدة الشابة المنشفة لتسقط وأبعدت خصلات الشعر التى تتزاحم على جبينها .

– أهذا كل ما قال ؟

أجابها وهو يلتقط المنشفة من سطح الأرض ليضعها فى مكانها .

– نعم .

دفع بلطف السيدة الشابة وهو ممسك بكتفيها نحو الشرفة .

وهما فى الطريق أمسك بفرشاة الشعر .

– هل حدثك عن رد فعل ، ستيف ، ؟ أكان مثاراً ؟ مهتماً ؟

وما رأى ، ريتشارد ، فى القضية . هل يرى من انتقاله إلى هنا جدوى ؟

آه .. انفجر ، دافيد ، فى الضحك وأجلس السيدة الشابة على مقعد بحيث يواجه شعرها الشمس .

– نعم ، لقد كان ، رولاند ، مثاراً . وما كان ، ريتشارد ، لينفق نقودك ما لم يكن مقتنعاً بنجاح الخطة .

وقف ، دافيد ، خلف السيدة الشابة ، وشرع فى تمشيط شعرها . كانت هذه هى إحدى مهامه المفضلة .

كما كانت تقدر ، نانسى ، أيضاً هذه اللحظة الخاصة . مددت ساقيها على المنصدة المنخفضة وأراحت رأسها على مسند المقعد .

واستسلمت ليدى ، دافيد ، الخبيرة وهى مغلقة العينين .

– لابد أن ، ريتشارد ، مدين لك بدين كبير حتى يخصص وقت فراغه لحل مشكلتنا . بالمناسبة ، ما عمله ؟ أنت لم تخبرنى .

أحرجت ، نانسى ، ، دافيد ، بهذا السؤال .

لأنه لم يرد أن يكذبها القول . لكن يبدو لا مفر من ذلك .

ليتها تغفر له كذبه .. سيخبرها بالحقيقة كاملة فى الوقت المناسب.

فبقدر نجاحها فى تمثيل دورها أمام ، رولاند ، سيكون نجاح خططهم .

– ، دافيد ، ؟

تنحنح ، دافيد ، ليرد عليها ما استطاع أن يختلقه بشأن «ريتشارد» .

– لديه مكتب استيراد وتصدير فى « سنغافورة » . ولا تقلقى بشأنه ، فهو لن يضيع وقته من أجلك . لقد انتهز الفرصة لقضاء أسبوع فى الولايات المتحدة .

– ولماذا هو مدين لك ؟

كالجرو الصغير ، رفضت « نانسى » أن تترك ما أطبقت عليه بأسنانها .

– هذا يرجع إلى عدة سنوات ، عندما كنت أقوم بتحقيق فى «جاوا» . كنت على موعد لمقابلة مخبر مهم فى مشرب على الميناء .

عندما دخلت إلى المشرب . وجدت « ريتشارد » مستنداً بظهره على الحائط ، محاطاً بخمسة أو ستة رجال من أبناء البلاد يستعدون لتهشيم بعض الزجاجات فوق رأسه .

– هل كنت تعرفه ؟

– لم أكن أعرفه بعد . تعرفنا على بعضنا البعض بعد المشاجرة ..

استدارت « نانسى » فجأة ، ووضعت ذقنها فوق مسند المقعد وعيناها مفعمتان بالإعجاب .

– هل أنقذت حياته ؟

أومأ برأسه ضاحكاً .

– ليس تماماً . لقد حاولت فحسب أن أعادل القوى . إن «ريتشارد» جدير بأن يواجه الموقف بمفرده . مهما كان ما حدث ، لقد تعارفنا على هذا النحو .

– والدين ؟

– كان « ريتشارد » يبحث عن أخته « مارى » فى « چاوا » .. كان يشاع أنها سيئة السمعة .. استطاع أحد مخبرى أن يوجه «ريتشارد» الاتجاه الصحيح .

لم يوضح « دافيد » أنه كان اختطافاً ، لقد بذل « ريتشارد » قصارى جهده حتى يطمس معالم هذه العملية بعد أن استعاد أخته .

فى يوم ما ، ربما تقابل « نانسى » « مارى » ، التى ستقص عليها كل الحكاية ، فى انتظار ذلك ، يجب على « دافيد » أن يحتفظ بأسرار أصدقائه .

قال وهو يطبع قبلة على رأس « نانسى » .

– هذا كل شىء . وأكرر لك أن « ريتشارد » فى غاية السعادة لحصوله على تلك الفرصة العظيمة لزيارة « سان فرانسسكو » .

رضيت « نانسى » إلى حد ما بما قصه عليها ، ثم رجعت لوضعها السابق .

– ألا يوجد مكان واحد فى العالم لم تذهب إليه ؟

– فى الحقيقة ، حلمت دائماً برؤية « الأوريجون » . ما قولك فى أن نقوم هناك بجولة صغيرة عدة أيام ؟

– بهذه البساطة ؟ نقفز إلى السيارة ونذهب ؟

– سنأخذ سيارتى.. إنى أخشى أهواء سيارتك . على أية حال فهى مازالت عند الميكانيكى .

– لكن هل نستطيع حقاً أن نرحل مع كل ما ندبره ؟

– ولم لا ؟ لن يأتى « ريتشارد » إلى الولايات المتحدة إلا عشية لقائه بـ « رولاند » .

لا شىء يحتجزنا هنا إذن ، ما رأيك ؟ ماذا إذا قمنا برحلة بضعة أيام ، ليس فيها أحد سوانا ؟

– وإذا ما غير « ستيف » رأيه فى أثناء ذلك ؟ أو إذا حدث شىء غير متوقع وأراد « ريتشارد » أن يخبرك به ؟

قال « دافيد » ؟

– سأهتم أنا بهذه التفاصيل . وفى تلك الأثناء أعدى حقيبتك .

– الآن ؟

– نعم . أريد أن أمشى على شاطىء المرجان معك .. هذا المساء ..

– أعتقد أنه سيكون من الصعب الوصول إلى « الأوريجون » قبل الليل .

– سنمشى إذن على شاطئ فى مدينة « كاليفورنيا » سنقضى وقتاً جميلاً .

واستطرد وهو يدفعها بلطف إلى غرفتها :

– لا تهتمى بالتفاصيل . ولا تنسى أن تأخذى معك ملابس مناسبة للرقص .

– هل سنرقص ؟

– سنفعل الكثير يا « نانسى » . أسرعى الآن . لا أستطيع الانتظار.

أمسك بحقيبة كانت أعلى صوان الملابس . وضعها على السرير وفتحها . بينما بدأت « نانسى » فى وضع ملابسها ، ذهب « دافيد » يرتب بعض « التفصيلات » فى الحجرة المجاورة .

اتصل بـ « ريتشارد » ليخبره بأنه سيقابله فى نفس الليلة .

ثم اتصل بالرجل الذى استأجره ليراقب « رولاند » .

كان لابد أن يفكر فى حماية أنفسهم .

سلكا اتجاه الشمال متاخمين الساحل ، وتوقفا لتناول غداء متأخر فى مدينة صغيرة .

سأل « دافيد » « نانسى » إذا كانت تريد أن تقود ، لكنها فضلت أن تعهد إليه بمسئولية ارتياد هذا الطريق المتعرج .

على أية حال ، كان يسيطر على سيارته باقتدار .

أخذت « نانسى » تفكر وهى تتأمل المنظر المتتابع على عينيها فى أنها لم تشعر أبداً فى حياتها . بمثل هذا الأمان .

فعندما تكون برفقة « دافيد » تشعر بالارتياح ، وهذا الشعور يختلف تماماً عما كانت تظنه بأنه الشعور بالأمان .

كيف لرجل تتباين أفكاره وطريقة معيشته مع أفكارها وطريقة معيشتها أن يكون قادراً على أن يبعث فى نفسها مثل هذه الأحاسيس .

سألها « دافيد » فجأة :

– هل تريدين أن تنامى ؟

– كلا ، كنت أفكر ، هذا كل ما فى الأمر .

رفع « دافيد » حاجبيه .

– أنت لا تفكرين فى « رولاند » ؟ أتمنى ذلك !

قالت « نانسى » وهى تسند ظهرها إلى الباب لترى « دافيد » بوضوح :

– كلا . أحاول أن أفهم لماذا لا أشعر بأننى منقادة ؟

– ماذا تقصدين ؟

– منذ أن قابلتك ؛ أرى نفسى دائماً خاضعة لرغباتك دون تفكير .

اعترض « دافيد » .

– هذا ليس صحيحاً تماماً . لقد ترددت طويلاً فى ذلك اليوم الذى دخلت فيه إلى مكتب « فيكتور » .. اعتقدت فى لحظة أنك ستطلبين من محاميك أن يلقى بى خارجاً .

– تماماً ، ولقد تابعت كلامك دون أدنى اعتراض . سلوكى لا يتفق مع صفاتى وهذا ما يقلقنى .

– أعطنى مثالاً .

– مجرد أنك تعيش معى .

– كنت أعتقد أنك تريدين ذلك .

قالت ضاحكة وهى تعى ما بها من تناقض :

– هذا صحيح .. بكل بساطة هذه أول مرة لى . كما أننى لم أكن أعرفك عندما قبلت .

– أنا لا أوافقك .

مد ذراعه وجذب السيدة الشابة لتكون أكثر قرباً منه .

– لقد كنت تعرفيننى جيداً .. حتى إنك مارست معى الحب بعد الظهر . فإقامتى معك كانت ضمن الترتيب المنطقى للأحداث .

– ربما بالنسبة لك .

– لايهم . ستدهشين إذا علمت أنها المرة الأولى لى أيضاً .

– ألم تعش أبداً مع امرأة ؟

– لنقل : إن الفرصة لم تواتنى أبداً . ما الأشياء الأخرى التى فعلتها ولم تتوافق مع طبيعتك ؟

– هذه الرحلة مثلاً . لم أقم بشىء أبداً لم يسبق له الترتيب .

هذا ليس طبيعياً ، ومع ذلك ، جهزت حقيبتى فى ثلاث دقائق.

– أتمزحين ؟

– هذه ليست المشكلة . إننى لم أسافر أبداً دون أن أعرف إلى أين أنا ذاهبة .

سألها ، دافيد ، وبصره مثبت على الطريق :

– ألم يطرأ على ذهنك فكرة أنك لم تفعلى ذلك أبدا ببساطة لأن الفرصة لم تواتك أبداً ؟

إن السنوات التى قضيتها فى بناء شركة ، حلوى أماندين ، لم تمهلك وقتاً للراحة . أعتقد أن المرات القلائل التى وجدت فيها وقت فراغ كان لابد وأن تخططى لما ستفعلينه فى هذا الوقت .

– أنت محق .

أمسك بيدها وطبع عليها قبلة .

– وإذا كان من شأن ذلك أن يطمئنك ، فأنا لا أتحكم فى تصرفاتك . أجابت وعلى شفتيها ابتسامة ماكرة :

– وإذا لم أكن مقتنعة بذلك ، لما كنت معك هنا الآن .

اعترف ، دافيد ، .

– هذا صحيح .. إنى أميل إلى الإمساك بزمام الأمور ، لكنى لا أريد أن أشعرك بأننى أملى عليك ما تفعلين .

– إطمئن ، أشعر بأننى حرة كلية . لقد فقدت عقلى فحسب ..

– سعيد بأن أسمعك تقولين هذا . لكن لا يجب أن يخيفك هذا أتعرفين ، إذا كنت قد تبعتك من ، تاهوى ، كان هذا لأنه ليس لى الخيار .

لقد رفضت أن أكتب مقالاً عن ، نوڤل – أورليون ، للشهر القادم لأنى لم أرد أن أبعد عنك . لم أرد أن أخاطر بفقدك .

همست السيدة الشابة :

– لم أكن أعرف .

– من الطبيعى ، فإننى لم أتحدث معك فى هذا .

– أنا لم أطلب منك أبداً أن تتنازل عن أى عمل مهما كان من أجلى .

– لم أقصد ذلك يا « نانسى » ليس لهذا المقال أية أهمية .

إن ما يهم فى عينى هو قصتنا التى بدأت فى ذلك المساء فى «تاهوى» والتى شعرنا بها نحن الاثنان . كدت أفقد عقلى عندما رفعت عينيك لتنظرى إلىّ ، لم أرغب فى امرأة على هذا النحو قط . ألا ترين ، إننى الآن مرتاح أن أراك تتصارعين مع نفسك بسبب نفس المشكلة .

ضحكت « نانسى » بعصبية :

– تبدو وكأنك تتحدث عن نوع من الانجذاب المغناطيسى .

هل أنت بصدد القول : إننا إذا فقدنا عقلنا نحن الاثنان ، فلن نستطيع شيئاً ؟

– إنى أخشى ذلك حقاً . لقد بدأت قصتنا فى « تاهوى » .

لم يبعد أمامنا سوى أن نتماسك ونرى إلى أين سيسوقنا القدر .. وجدا فندقاً . على الحدود الجنوبية للأوريجون » ، فندقاً كبيراً يقع بين المحيط ذى الأبعاد المتناهية والمنحدرات الناعمة لأرض جولف . ظلت « نانسى » فى السيارة عندما كان « دافيد » يتحدث مع موظف الاستقبال .

لقد وقعت فى غرام « تونى جراهام » لم تع بقوة شعورها نحوه فى الليلة الماضية وكذلك أثناء الغداء .

لقد أجاب بصبر على أسئلتها لكن كانت إجاباته عائمة .

كان « دافيد » يحيط بالسرية حياته الخاصة .. ويبدو أنه ليس من النوع الذى يتفاخر بأعماله . لكن المقتطفات التى تسربت من بين شفتيه كانت مغامرات حقيقية بالنسبة لـ« نانسى » .. كما فتنها سعيه الدائب وراء اكتشاف الحقائق . كان يريد أن يرى كل شىء ، يكتشف كل شىء ، ويجرب كل شىء .

تملكها إحساس غريب بالغيرة . لماذا تحدت طريقته فى الحياة على الرغم من أنها لم تفتن بهذه الطريقة أبداً حتى الآن ؟

كان من الواضح أن وقوعها فى حب « تونى جراهام » خطأ .

لكنه كان أمراً محتوماً ، إنهما معاً الآن . لكن كم من الوقت سيبقيان معاً ؟

كانت « نانسى » تريد أن تستفيد من هذه السعادة الصيفية ، لكنها كانت تعرف أن عواصف الشتاء آتية لا مفر ..

* * *

الفصل التاسع

نزلا فى جناح يطل على البحر وبه مدفأة فى الصالون ، وضع «دافيد» الحقائب فى الغرفة ثم صحب « نانسى » فى جولة صغيرة .

كانت الشمس قد غابت بالفعل لكنهما استطاعا أن ينعما بضوء الغسق .

على الشاطئ ، هبت ريح باردة ، مشياً بموازاة الساحل يده فى يدها والأمواج المزبدة تداعب أقدامها ، وهما يتنفسان ملء رئتيهما بهذا الهواء المشبع برائحة البحر.. كادت « نانسى » تطير فرحاً .

كانت تعلم أنها ستعترف لـ « دافيد » بحبها فى أقرب وقت ممكن . أن تعترف له قبل أن يخمن هو ، وقبل أن يصبح الوضع أكثر تعقيداً . على الرغم من ذلك ، بدت لها هذه الأمنية مخيفة كما لو كانت ستلقى نفسها من أعلى جبل : كان الأمر صعباً لكنه قدرى .

توقف « دافيد » فجأة وأحاط وجه السيدة الشابة بكفيه .

ماذا هنالك يا « نانسى » ؟ تبدين منهمكة فى التفكير منذ ساعة .. أجابت بابتسامة لطيفة :

– من قال لك هذا ؟ إننى متعبة فقط .

– هل هذا صحيح ؟

هزّت رأسها :

– كلاً .. أعتقد أن عبارة « منهمكة فى التفكير » تناسبنى أكثر من أى عبارة أخرى .

– ألا تريدين أن تحدثينى فيم كنت تفكرين ؟

ارتجفت لسبب غير معروف.. إذ لم يكن البرد بهذه الشدة .

أحاطها « دافيد » بذراعيه وتوجّها إلى الفندق من جديد .

– « دافيد » ؟

– ماذا ؟

– هل سيضايقيك إذا أعلنت لك الآن أننى أحبك ؟

تعثر « دافيد » كما لو أن قدمه قد اصطدمت بحاجز ، ثم استأنف السير .

قال وهو يحتضن خصر السيدة الشابة .

– تقرين بحبك كما لو كان شيئاً يحزنك . هل تخفين عنى شيئاً ؟

تبينت « نانسى » أن لا شىء – حتى الحب – يستطيع أن يهز هدوء أعصاب « دافيد » .

أجابته بينما كانا يتسلّقان كثيباً رملياً .

– إن قولك هذا يحزننى . لقد حدثتك فى الأمر بكل بساطة لأن الفكرة وانتنى اليوم . اعتقدت بأن لك الحق فى أن تعلم .

– هل سيغير هذا شيئاً بالنسبة لك ، أو بالنسبة لمشروعنا ؟

فكرت « نانسى » لحظة فى السؤال . كلا لن يغير هذا شيئاً .

باستثناء معرفتها بأن شتاء من الوحدة القاسية سيتبع هذا الحب الصيفى الدافئ .

أجابت :

– لن يغير هذا شيئاً ؟

تسلقا السور الذى يحيط بالفندق ، وقد شعرت « نانسى » بالارتياح بعد اعترافها لـ« دافيد » وكأنها تخلصت مما كان يثقل قلبها .

همست « نانسى » بينما ظل « دافيد » صامتاً .

– أحبك حقاً ، كنت أحتاج إلى أن أعترف لك بحبى لأنى .. لأنى لم أرد أن أخفى عنك شيئاً .

بمجرد أن أغلقا باب جناحهما فى الفندق ، أخذ « دافيد » السيدة الشابة بين ذراعيه .

قال فى ظلمة الغرفة .

– أعيدى على مسمعى ما قلته توّاً .

– إنى أحبك .

– هل أنت متأكدة من ذلك ؟

لقد جاء اعتراف « نانسى » فجأة . لم يكن « دافيد » يتوقع منها مثل هذه الصراحة ولا بهذه السرعة ..

إنى متأكدة من ذلك .

تبادلا نظرات مُفعمة . ابتعد « دافيد » عنها ، وقد أشعلت نار الرغبة فى عينيه فحولتهما إلى جمرتين تشعان فى الظلام .

قال وهو يصحبها إلى الصالون :

– تعالى . هناك أمر أو اثنان يجب مناقشتهما .

كانت « نانسى » تعرف ما سيقول له ، سيقول : ألا يجب أن نتوقع علاقة دائمة معه ، وأنه لا يستطيع تقديم أى وعود .

فعليهما أن ينعما باللحظة التى يعيشانها معاً وألا يحلما بمستقبل فى علم الغيب . لأن الغد أمل وليس وعداً على الإطلاق .

كانت « نانسى » تعرف كل هذا .. كما كانت مستعدة للقيام بدورها فى الأحداث القادمة .

فباعترافها بحبه ، كانت قد أقدمت على مخاطرة يجب تحمل تبعاتها .

ألقت « نانسى » بمعطفها على المقعد وتركت نفسها لتسقط على الأريكة ، بينما أخذ « دافيد » يروح ويغدو فى الحجرة كالأسد الحبيس .

قررت « نانسى » أن تقوم بالمبادرة .

هل تعدنى بشىء يا « دافيد » ؟

– بماذا إذن ؟

– بألا تنسى أن تقولى لى : إلى اللقاء عندما ترحل .

– عندما أرحل ؟ ماذا تقصدين ؟ هل سبق وتحدثت عن أننى سأتركك ؟

– ليس اليوم ، كلا ..

نهضت واقتربت منه فى عزم .

– لكنك ستفعل . فى الأسبوع القادم أو فى الشهر القادم عندما يتعين على « تونى جراهام » أن يستأنف تحقيقاته وكتابة مقالاته .

وضعت يدها على صدر « دافيد » ، فاكتشفت أن قلبيهما يخفقان بنفس السرعة .

– سترحل يا « دافيد » ، يوماً ما سترحل على الرغم من أننى أحبك . فإذا لم تقل لى إلى اللقاء فسأجن وأنا فى انتظار عودتك .

– إلى اللقاء لا تعنى وداعاً .

– إنها نفس الشىء ، أليس كذلك ؟ فقصص الحب لابد أن تنتهى فى يوم أو فى آخر . فمن الأفضل أن تكون القطيعة نهائية وبدون آثار ..

– تبدين أكثر خبرة منى فى هذا الشأن .

أومأت برأسها معربة عن نفيها لذلك .

– أتصور أن هذا أفضل ، هذا كل ما فى الأمر .

أظلمت عينا « دافيد » . كان الغضب يأكل قلبه .. كانت «نانسى» تنتظر منه القليل .. بينما كان لديه الكثير ليمنحها إياه . والآن سيقوم بآخر محاولة .

– وإذا أخبرتك بأننى أحبك أنا أيضاً ؟

أغلقت « نانسى » عينيها . وبعد لحظة فتحتهما فإذا بهاتين اللؤلؤتين تبدوان أكثر اتساعاً وأكثر عمقاً .

قالت مبتسمة .

– سأجيبك بأننا فى مشكلة . ألا توافقنى على ذلك .

– قال وهو يتفحصها بعينيه :

– الآن ، لدينا الخيار : إما أن نكمل مناقشتنا الآن وإما أن نكملها على العشاء .

– ألا يمكننا أن نفعل الأمرين معاً ؟

كان الوقت متأخراً عندما وصلا إلى صالة الطعام فى الفندق . كان « دافيد » يرتدى بنطلوناً وقميصاً من القطن ، أما « نانسى » فكانت ترتدى ثوباً من الحرير الأزرق يصل تحت ركبتها وقد شدت خصرها بحزام . انزلقت « نانسى » فى المقعد الذى أمسكه لها «دافيد» وقبل أن يذهب ليجلس على المقعد المقابل طبع قبلة على رأسها فقد رفعت شعرها إلى أعلى على شكل شينيون .

طلب « دافيد » الشراب وقد عهد إليها باختيار الطعام . كانت «نانسى» تفكر فى اللحظات التى قضياها معاً .

تلك اللحظات التى اكتشفت فيها حبها لـ« دافيد » والتى اعترف لها فيها بحبه .

من قال : إن عصر المعجزات قد انتهى ؟!

وغرقت السيدة الشابة فى موجة طويلة من السعادة . لقد أثبت لها « دافيد » حبه بالكلمات وباللمسات .

كان عناقهما حانياً ومتقداً بالعاطفة فى آن واحد ، كما كانت تتصاعد شدته كلما صرح كل منهما بحبه للآخر .

ظلت تلك الجملة التى قالها « دافيد » ترن فى رأسها وهى : أن حبهما قد بدأ فى « تاهوى » .

مضى النادل وتبادل العاشقان نظرات متناغمة ومتفاهمة عبر كئوس الشراب .

قالت :

– لا تحاول أن تفهمنى بأن ما حدث بيننا هو الذى يسمى حباً من أول نظرة . فتلك الأشياء لا تحدث إلا فى السينما .

قال وهو يغمز بعينه :

– نحن خير دليل على عكس هذا القول .

تنهدت « نانسى » بعمق .

– ماذا سنفعل ؟

لا شىء .. لدينا الكثير من المتاعب مع « رولاند » ، لماذا لا ننهى قضيتنا معه أولاً ثم .. نعود إلى قصتنا ؟

وافقت « نانسى » على هذا الاقتراح بحماس .

من الأفضل الانتظار حتى حلول الأجل بدلاً من مواجهة الحقيقة القاسية .

استطرد « دافيد » :

– لقد قال لى جدى فى يوم ما : إنه من الأفضل الصبر على المشكلات حتى تحل تلقائياً بدلاً من وضع حلول غير صائبة .

– أعتقد أننى كنت سأحب جدك .

– متأكد من أنه كان سيحبك بجنون .

جاء النادل محملاً بما يقدم قبل الطعام الرئيسى ، كانت رائحته شهية ، رائحة زبد بالبقدونس . بينما لم تستطع « نانسى » قمع تعبير الاشمئزاز عندما اكتشفت أنها قواقع .

صاحت فى تعجب .

– أنا لم أطلب مثل هذه الأشياء .

أجاب « دافيد » ضاحكاً :

– هذا ما يحدث عندما لا يتنبه المرء لما يصنع .. لكن جربيها ، سترين ، إنها لذيذة . نظرت إليه « نانسى » فى فزع وهو يغرز شوكته فى القواقع ويلتهمها فى تلذذ .

– وأنا الذى اعتقدت أنك امرأة ذات خبرة .

– لقد قلت لك قبل ذلك : إننى امرأة من نوع زبد الشوكولاتة .

– لا تعيدى هذا الحديث ، لن أصدق منه كلمة .

– ما الذى يجعلك تبغضين هذه القواقع ؟

– عندما كنت فى الثامنة من عمرى ، أجبرنى صديق فى اللعب على أكل إحدى هذه القواقع ليسمح لى بالدخول فى كوخه .

منذ ذلك اليوم ، أرفض أن أطعم هذه الحيوانات مهما كان تجهيزها .

– هل تريدين أن أطلب لك شيئاً آخر ؟

– هذا يترتب على ما سيلى ذلك من طعام .

قال « دافيد » وهو يمد يده ليأخذ طبق « نانسى » .

– سمك سالمون .

انتهى « دافيد » من أكل طبقه وطبق « نانسى » وجاء النادل ليجمع الأطباق من أمامها . قالت « نانسى » عندما أصبحا بمفردهما مرة أخرى :

– حدثنى عن والديك .

أراهن على أنهما فى غاية الغضب ؛ لأنك لم تستأنف نشاط شركة العائلة . وهم قلقون بالتأكيد بسبب كثرة أسفارك .. صاح «دافيد» فى تعجب :

– على العكس ! لطالما حسدنى أبى على أسلوب حياتى هذا .

لقد عمل أبى مع جدى فى شركته وتولى إدارتها عشر سنوات قبل أن يبيعها .

– هل هذا كل شىء ؟

– قرر والداى أن يشاهدا العالم وينتظرا فرصة استطاعتهما ذلك . وبفضل جدى وبيع الشركة تمكنا من تحقيق حلمهما فى السفر حول العالم .

قرر « دافيد » ألا يفصح عما تركه له جده من ميراث .

فهذا الميراث كان سنداً عظيماً له فى الحياة . كما كان من الصعب إقناع « نانسى » بأن مهنته كصحفى لا تشكل تهديداً لأمنه .. فليس من الضرورى تعقيد الأمور بأن يتركها تفكر فى أن يترك مهنته معتمداً على هذا الميراث .

لم يكن لأمن حياتهما الثنائية أى علاقة بوضعهما المالى .

فليظل أمر الميراث سراً إذن . وعلى أية حال ، قد خطط « دافيد » بعض المشروعات لاستثمار هذا المال . فمهنته كصحفى تلبى احتياجاته بسخاء . ففى العام القادم ، عندما يتسلم ميراثه ، سينشىء «دافيد» شركة تستثمر على أكمل وجه كل الأموال التى جمعها جده .

سألته « نانسى » .

– أين يعيش والداك ؟

– فى لندن . لكنهما لم يمكثا فيها أكثر من أسبوعين أو ثلاثة فى هذا العام . لقد استساغا السفر .

حتى « دافيد » كان يصعب عليه متابعة رحلاتهما السعيدة :

رحلة صيد فى استراليا ، صيد فراشات فى الأمازون ، أو جولة سياحية فى أيرلندا ..

قالت « نانسى » وهى سابحة فى التفكير :

– إنى أرى . لقد نقلا إليك عدوى السفر . فى واقع الأمر أنت لا تستقر فى مكان .

* * *

الفصل العاشر

لم يتمكن « دافيد » من قمع ابتسامة خفيفة أمام نظرة « نانسى » الشاردة على الرغم من الإنكار الذى ساقته إليه « نانسى » ، كان متأكداً ، وقد شعر بذلك : وهو أنها أيضاً تحب المغامرات .

لكن على « دافيد » أن يعلمها ذلك ..

تناولا العشاء فى عجلة لينضما إلى جمع الراقصين على حلبة الرقص، كما لو أنهما تدربا عليه منذ ساعات .

أسندت « نانسى » رأسها على كتف فارسها .. وأخذت تحلم .

وكيف تستطيع ألا تفعل ذلك ؟ كانت الموسيقى حالمة ، بالإضافة إلى تأثير الشراب وحركاتهما الهادئة وهاتين الذراعين القويتين اللتين تشعر بينهما بالأمان المطلق ..

كل شىء يحرضها على التحليق فى عالم الأحلام . هل احتوى حبهما على سحر يجعل كل الأحلام حقيقة ؟ كانت « نانسى » تحتاج إلى « دافيد » ، تحتاج إلى وجوده : أما الباقى فليس له أهمية .

كانا يستطيعان أن يخلقا سعادتهما معاً ، وأن يثبتا للعالم أجمع أن الحب المتبادل لا يعرف العوائق .

لم يكن هناك شيء يستطيع انتزاع السعادة من أوقاتها الخاصة . رقصا حتى وقت متأخر من الليل ، كانا الزوج الوحيد الذى على الحلبة .

أخيراً ، وضع « دافيد » معطفه فوق كتفى « نانسى » واتجها صوب جناحهما كل منهما يتأبط ذراع الآخر .

وبمجرد أن دلفا إلى الحجرة . قالت « نانسى » :

– أحبك يا « دافيد » .

– هل أستطيع أن أطلب منك صنيعاً يا حبيبتى ؟

قالت بتنهد :

– كل ما تريد .

– أنت لا تعرفين حتى عمّ أتحدث . لا يجب أن تتسرعى هكذا .

– لم لا ؟

– لأنى أستطيع أن أستغل الموقف .

– تستغل الموقف يا « دافيد » ، تستغلنى .

– إنى جاد يا « نانسى » . أريد أن أطلب منك صنيعا .

لم تمهله « نانسى » وتشبثت برقبته . عدل « دافيد » عن الحديث واكتفيا بتبادل المشاعر الجميلة تتصاعد معه همسات الحب .

استيقظت « نانسى » وهى على يقين من أن تلك الليلة المتقدة بالعاطفة لم تكن إلا حلماً . كانت نائمة وكذلك « دافيد » ومازالت تطوف بذهنها كلماته مثل « دائماً » ، « وإلى الأبد » .

لابد من أنها كانت تحلم . نهضت واتجهت إلى الحمام . على أطراف أصابعها . أغلقت باب الحمام واستندت إليه وقلبها يخفق .

لقد سمعت منه كل ما تمنت سماعه : وعود بالسعادة الأبدية .

قول سخيف بما أنهما كانا يعرفان أن ذلك من المستحيل . لقد كان « دافيد » مسافراً ، ورحالة .

حلم سخيف .. تنفست « نانسى » بعمق ، فتحت صنبور الدش ، ووقفت تحت الماء الساخن .

هذا لا يكفى لطرد حلمها .

– هل استيقظت ؟

منعها هدير الماء من سماع « دافيد » ، وهو يسألها . وقف « دافيد » أمام الباب وأسند ظهره إلى الحائط المكسو بالبلاط الأبيض .

– قال :

– لم نعد الحديث حول الصنيع الذى طلبته منك مساء أمس .

– تختار أوقاتاً غريبة .

قال بصوت أجش :

– هذا مهم . أريد أن تقطعى لى عهداً .

– أجابت .

– أنت من كان عليه أن يتعهد لى . أتذكر عندما طلبت منك أمس على أن تعاهدنى بأن تقول لى إلى اللقاء .

قال وقد قطب حاجبيه :

– لقد نسيت .. لتعاهدينى أنت أولا .

بدا ، دافيد ، جاداً وحازماً .

قالت ، نانسى ، فى صوت عذب .

– كل ما تريد .

– عاهدينى إذن على ألا تتركينى إلا بعد أن تبذلى كل المحاولات للاستمرار معاً .

أخرجت ، نانسى ، رأسها من تحت الدش وتلاقت نظراتها بنظرات ، دافيد ، وبدا وكأن الدنيا تدور من حولها بسرعة .

– أعتقد أننا اتفقنا على أن نؤجل الحديث فى ذلك إلى أن ننتهى من مشكلة شركة ، حلوى أماندين ، .

– لم يعد هذا كافياً . لقد تغير كل شىء فى الليلة الماضية .

– لقد كان حلماً .

– كلا يا ، نانسى ، لقد كان حقيقة . لقد أطلقنا العنان لقلبينا حتى يعبرا عما يضج فيهما من مشاعر . لا أريد نسيان ما قلناه .

قالت بصوت متحشرج :

– أنت تعرف أن هذا لن يتحقق ..

– من أجل هذا أريد الحصول على وعدك : لا تضعى حداً لمغامرتنا قبل أن تبدأ .

قاطعته السيدة الشابة :

– أعدك بهذا . لا أستطيع أن أرفض لك طلباً .

أخذ قلب ، نانسى ، يخفق بشدة ورجعت تحت الدش .

رفعت ذراعها لتفرك شعرها . فشاهد ندبة أعلى ذراعها فسألها .

– ما سبب هذه العلامة ؟

ابتسمت ، نانسى ، . إنها منذ سنوات ولقد نسيتها بالفعل .

أجابته مشيرة إلى وجهه :

– قل لى أنت : ما سبب علامتك ؟

– الآن عرفت لماذا لم تسألينى عنها أبداً ، فلديك نفس القصة المزعجة ولكنها فى مخبأ عن الأنظار .

– ليست مزعجة بمعنى الكلمة . لكنها قصة حمقاء . لقد كنت صغيرة جداً . وأنت ؟

– كنت فى حوالى العشرين من عمرى .

– و ... ؟

– هل قابلت ببغاء من قبل ؟

انفجرت « نانسى » فى الضحك . كانت تتمنى لو أن قصتها بنفس الطرافة .

– كنت فى السابعة . قالت « بيلى لاركين » إننى لا أستطيع الصعود إلى سقف الجراج . شعرت بالتحدى فصعدت وسقطت وللأسف ، سقطت على كومة من الألواح ذات المسامير .

– أفضل ببغائى .

عاد إلى الغرفة بعد هذه الجملة ليترك « نانسى » تكمل حمامها بهدوء بمفردها من جديد ، أغلقت « نانسى » عينيها وهى تتساءل إذا كانت لديها القوة والشجاعة للوفاء بعهدها .

خرجا بعد الغداء وقضيا فترة بعد الظهر فى اكتشاف الساحل . وفى المساء انتقلا إلى فندق آخر أقل فخامة من الفندق الأول .

وعلى الرغم من ذلك كان نظيفاً وهادئاً وأهم من ذلك كان مريحاً .

قضيا الأيام الباقية يجوبان الشواطئ وأحياناً يتوغلان فى غابات الصنوبر الكثيفة . حيث امتزجت كل درجات اللون الأخضر تكسو التلال وتنحدر فى شكل شلالات خضراء ساحرة .

وبدون صلف ، راح « دافيد » يقارن بين ما يشاهدان من مناظر وبين التى أتاحت له أسفاره فرصة مشاهدتها . انتهى به الأمر إلى

إثارة « نانسى » وشعورها بالحسد تجاهه . ربما تأخذ قريباً إجازة طويلة لتذهب لاكتشاف العالم . ومع ذلك ، كان شىء يحدثها بأن القصص الوصفية التى يقصها « دافيد » ستظل دائماً أكثر إثارة من الرحلات التى يمكنها القيام بها بمفردها .

فى ظهر أحد الأيام ، أخرج « دافيد » كمبيوتر محمولاً من خزانة السيارة ، وجلسا ليكتبا العرض الذى ستقدمه مجموعة «فنادق براديز» . كتب « دافيد » عرضه فى ثلاث صفحات .

وامتلأ العرض بعبارات تفتقر إلى البلاغة ، لقدكتب بأسلوب قانونى – مالى حيث : الاحتمالات ، الشروط ، تقييمات بالأرقام ، كان عرضاً كاملاً لا ينقصه شىء . وعندما أظهرت « نانسى » دهشتها لبراعته فى كتابة عرض متخصص كهذا ، أجابها ضاحكاً أن مهنة الكاتب لها امتيازات عديدة .

بعثا بالعرض النهائى عن طريق الفاكس إلى « ريتشارد » ؛ حتى يتمكن من إعادة كتابته على الورقة المطبوع أعلاها علامة فنادق «براديز» .

خلال الثلاثة أيام التالية ، كانت « نانسى » تتدرب على المشهد الذى ستمثله أمام « ستيف » ، لم يكن عليها أن تحفظ الكلمات عن ظهر قلب ، إنما حرص « دافيد » على أن تكون مستعدة لأى احتمال .

فإذا لم يكتب لها الكلمات التى ترشدها فى حديثها ، لغلبتها عاطفتها مما كان يهددها بالخطر .

يجب أن تقنع « نانسى » المدعو « ستيف » أن محاميها أوصل إليها معلومات تفيد بأن « ريتشارد » وفنادق « براديز » متورطون مع مروجى المخدرات . وبعد المعلومات التى حصل عليها « دافيد » عن « رولاند » ، كان متأكداً أنه كرجل أعمال لن ينساق وراء عملية تدليس تجعله متورطاً مع المافيا . كما أن « رولاند » يحب المال ، لكنه ليس غبياً . لهذه الأسباب يجب أن ينسجم عملهما وينظم مثل هذه النوتة الموسيقية . فإذا تركا مجالاً لسمكتهما ، فلن تتأخر تلك الأخيرة فى اكتشاف ما هى مقدمة عليه من حيلة .

عندما عادا أخيراً إلى شقة « نانسى » شعرت تلك الأخيرة بأنها فى أتم الاستعداد . لكنها كانت أيضاً فى غاية الإثارة . حتى إنها أخذت حماماً ساخناً طويلاً قبل النوم . وعندما أغلق « دافيد » عينيه كانت « نانسى » مستغرقة فى سبات عميق .

فى الصباح التالى ، تعرفت « نانسى » على « ريتشارد » ، واندهشت لمظهره ، فهى لم تشك فى أن يكون له علاقة فعلاً بالمافيا .

كان ضخم الجثة ، قوى البنيان ، يبعث بالتوجس لمن يراه .

ولم تنجح بدلته الأنيقة فى مداراة هيئته المريبة . أما شعره فكان داكناً وعيناه رماديتين وباردتين .

باختصار ، شعرت « نانسى » بالتردد . ومع ذلك ، عندما قدمهما «دافيد» ليتعارفا أضاءت ابتسامة سريعة وجه «ريتشارد» ، واختفت تلك الابتسامة بسرعة .. وشعرت السيدة الشابة أنها مغلوبة على أمرها .

اتفقوا على اللقاء فى فندق أربعة نجوم فى «سان فرانسيسكو» ، حيث نزل « ريتشارد » منذ البارحة . قلقت « نانسى » عندما علمت باختيار « ريتشارد » لهذا الفندق الفاخر : لن تصمد الأربعة آلاف والخمسمائة دولار أسبوعاً واحداً .. فطمأنها « دافيد » : لقد دعا «ريتشارد» صديقه للإقامة فى هذا الفندق فلن تكلفه الغرفة كثيراً . قبلت « نانسى » هذا التفسير . كان يبدو أن « دافيد » لديه الإجابة عن كل سؤال ..

تناولا الغداء فى مطعم الفندق . اكتفت « نانسى » بالسلطة وأخذت تستمع بإنصات إلى « ريتشارد » و « دافيد » يعيدان ترتيب بعض التفصيلات .

سأل « دافيد » .

– هل اتصلت بـ « ريتشارد » ؟

– نعم ، مساء أمس . لأخبره بوصولى ولأؤكد موعدى معه غداً . ولم أدع له الفرصة ليسأل كثيراً .

سأله « دافيد » وهو يمسك بيد « نانسى » تحت المنضدة .

– هل معك نص العرض الآن ؟

– الأوراق فى غرفتى . سأصعد حالاً لأعطيك نسخة منها . لقد قمت ببعض التعديلات الطفيفة على النص قبل إعادة كتابته على الورقة المطبوع عليها اسم فنادق « براديز » .

التفت « ريتشارد » نحو السيدة الشابة .

– والآن يا « نانسى » ، أخبرينى بكل ما يجب أن أعرفه عن شركة « حلوى أماندين » . يجب أن أكون مقنعاً أمام «رولاند» .

أجابت « نانسى » وهى تجذب يدها من بين يدى « دافيد » .

– كنت أعتقد أن « دافيد » قد أطلعك على كل شىء .

– أفضل أن أسمع كل شىء منك .

شرعت « نانسى » فى سرد قصتها ، كيف أن « رولاند » نجح فى انتزاع سلطاتها فى شركتها . ولكن أصر « ريتشارد » على أن تبدأ منذ إنشاء شركة « حلوى أماندين » .

دون أن تعلم مدى جدوى ذلك ، أذعنت « نانسى » لما طلب منها .

ثم أخذت تجيب عن الأسئلة المحددة التى وجهها إليها «ريتشارد» عن عمل شركة « حلوى أماندين » .. لقد أمضيا ساعتين فى هذا الحديث . ثم تركها الرجلان بضع دقائق ، بعد أن أعرب «ريتشارد» عن رغبته فى تناول ثلاثتهم العشاء بعد لقاء « رولاند » . صاحب «دافيد» صديقه . ليحضر نسخة من العرض .

جلست « نانسى » بمفردها ترتشف قدحاً من القهوة .. كانت تشعر وكأنها كانت فى استجواب من النيابة .. عندما رجع « دافيد » بعد خمس دقائق ، ساعد السيدة الشابة على النهوض . لف ذراعه حول خصرها ووعدها بأن يرجعها إلى المنزل سريعاً لما بدا عليها من تعب .

عندما كانا فى السيارة صرحت لـ « دافيد » .

– لم أكن أشعر بمثل هذا التعب عندما كنت أقوم بالدعاية لشركة «حلوى أماندين» . إن « ريتشارد » هذا يشبه الثعبان مصاص الدماء .

أجاب « دافيد » وقد اعتلت شفتيه ابتسامة :

– إن « ريتشارد » شعلة طاقة . لا تقلقى .. إنه يعطى هذا الانطباع لكل من يقابله .

لم يكمل « دافيد » حديثه حتى كانت السيدة الشابة نائمة على كتفه .

* * *

الفصل الحادى عشر

بمجرد أن استيقظت « نانسى » اتصلت بالميكانيكى تسأله بكل كياسة عن سبب انقطاع أخبار سيارتها منذ أسبوع . فأكد لها أن السيارة شبه جاهزة . بعد يوم أو يومين ستنطلق كالشهاب ، كما أكد للسيدة الشابة أن تصليحها لن يكلفها الكثير . وعندما أعلمها بالمبلغ عرفت « نانسى » أن قيمة المال نسبية بين الناس ..

وضعت « نانسى » السماعة وقد اقتنعت أن الميكانيكى يحتفظ بالسيارة حتى يبتزها .. ألم يخطر بباله أن الشيفروليه القديمة لا تفتن الشابات ؟ .

سألت « نانسى » « دافيد » .

– ما موعد مقابلة « ريتشارد » ؟.

رفع بصره عن الجريدة وهز رأسه معاتباً .

– هذه هى المرة الثالثة التى تسألينى فيها هذا السؤال !.

دافعت « نانسى » عن نفسها .

– إنى عصبية بعض الشىء .

– الحادية عشرة هو موعد اللقاء . يجب أن يتصل بى « ريتشارد » الآن .

– وإذا ما لم ..

قاطعها ، دافيد ، فجأة .

– سيتصل ، ريتشارد ، حالما واتته الفرصة . كل ما علينا عمله الآن هو الانتظار .

قال تلك الكلمات والتفت مرة أخرى إلى الجريدة . أخذت السيدة الشابة تدمدم خلسة: الانتظار ، من السهل عليه أن يقول هذه الكلمة .

فالأمر لا يتعلق بشركته أو بحياته كلها . ذهبت إلى الشرفة وتأملت الشاطىء برهة . عندما استدارت اصطدمت بـ«دافيد» .

همست :

– آسفة . هذه المرة الأولى منذ إنشاء شركة ، حلوى أماندين ، التى أضع فيها مستقبل شركتى فى يدى شخص مجهول .

طمأنها وهو يربت على شعرها :

– كنت دائماً تمسكين بزمام الأمور . لكنى أتصور أنك سترغبين فى مشاهدة ، ريتشارد ، وهو يخدع ، رولاند ، . وبينما أنت تنتظرين لا تنسى أن دورك قادم . تاريخ فسخ عقدك هو يوم الجمعة .

واليوم هو الاثنين فإذا التقط «رولاند» الطعم ، فسيدفعه «ريتشارد» ليوقع الخميس ، وذلك بأن يهدده بسحب العرض .

ثم يحن دورك. وصباح الجمعة ستنتمى هذه القصة إلى الماضى.

– هل ، فيكتور ، على علم بما نصنع ؟

كان ، دافيد ، قد اتصل بمحامى ، نانسى ، البارحة عندما كانت نائمة .

أجاب ، دافيد ، باختصار :

– لقد أخبرته بما يجب أن يعرفه .

ترك نفسه ليسقط على أحد المقاعد بينما جلست هى على مقعد بجواره .

– بما أنه محاميك يجب أن يعلم أن من الممكن فسخ العقد فى أى وقت . وبما أنه صديقك كان يريد أن يعرف تفاصيل الخطة .

– هل صدم عندما أخبرته بها ؟

– أعتقد أنه ليس فى خططنا الكثير الذى يدعو «فيكتور» للدهشة . منعت ، نانسى ، نفسها من التثاؤب وتعلقت بـ« دافيد » ، وأخذ هذا الأخير يربت على كتفها ليبثها بعض الصبر ، وروى لها بعض حكايات أسفاره الطريفة التى لم يشاركه فيها أحد .

– لقد ابتلع الطعم !

– هل أنت متأكد ؟

كانت « نانسى » فى قمة الإثارة عندما استمعت إلى هذا النبأ حتى إنها نسيت أن تدعو « ريتشارد » للدخول . فتولى « دافيد » ذلك وأبعدها عن الباب ليدخل شريكهما .

خلع « ريتشارد » معطفه ، وابتسامة النصر تعلو شفتيه .

قال وهو يجلس على أحد المقاعد :

– بكل تأكيد .

قالت « نانسى » وقد نفد صبرها :

– قص علينا كل ما حدث ، هل وجه إليك أسئلة صعبة ؟ هل كان يبدو متشككاً ؟ هل تعتقد أنه سيوقع ؟ .

– يمكننى أن أقول ٩٠٪ نعم . لكن لا أحد يعلم حقاً إلا يوم الخميس .

أخذ « ريتشارد » يسرد عليهما تفاصيل اللقاء مع « رولاند » . كان هذا الأخير يبدو متأثراً للغاية . ومتعاطفاً إلى حد ما عندما عرف أن لشركة « حلوى أماندين » شهرة عالمية . وكان لديه هو نفسه مشروعات على الصعيد الدولى ، لكن بما أن فنادق « براديز » ستتولى التعاقد بسرعة قرر تأخير التوسع المحلى ليستفيد من هذا العقد الأجنبى .

لقد عرف « رولاند » أن هذا العرض لا يمكن رفضه .

سيطلع محاميه على العرض، لكننا اتفقنا على أنه ليس هناك ما يتعارض مع التوقيع على اتفاق .

وقد وجد « رولاند » أن فكرة إيداع مبلغ عشرة آلاف دولار فى البنك لحسابه من قبل « فنادق براديز » على سبيل مساعدة للبدء فى المشروع ، فكرة عبقرية .

وبعد عشرين دقيقة تقريباً من مجيء « ريتشارد » بدأت تشعر «نانسى » أخيراً بالارتياح .

قالت :

– برافو . أشعر بأن الخطة ستسير . لنحتفل بهذا الخبر السعيد .

ذهب ثلاثتهم لتناول العشاء فى مطعم مزدحم حيث ضحكوا وتمازحوا كما لو كانوا أصدقاء منذ الأزل . وبعد انقضاء أمسيتهم أوصل كل من « دافيد » و « نانسى » ، « ريتشارد » إلى الفندق فى وسط «سان فرانسيسكو » وبعد نصف ساعة كانا فى منزل « نانسى » ، منزلهما ..

فى صباح اليوم التالى .

اقترح « دافيد » .

– ماذا لو قمنا بشىء بناء اليوم .

نظرت « نانسى » إليه شذراً .

– لماذا ؟ ألم يعجبك الأمس ؟

لقد أمضينا يوم البارحة فى غاية السعادة . حتى إن « دافيد » قد فتح الباب للعامل الذى أوصل البيتزا وهو مرتد البشكير .

كما جاء الميكانيكى وأحضر مفاتيح السيارة وقال : إنه ركنها أمام العمارة . لكن لم ينزل « دافيد » ولا « نانسى » للتحقق من ذلك .

هكذا مضى اليوم دون أى جديد أو مهم .

– قال :

– هل توافقين على أن نخرج ؟

– و« ريتشارد » ؟

– ألم يكفك انشغالك به بالأمس ؟!

– أنت لم تدعنى أقلق لحظة .

– لا تقلقى بشأن « ريتشارد » . لديه جدول أعمال منظم حتى يوم الخميس ماذا لو قمنا بجولة صغيرة فى « تاهوى » ؟

– بهذه البساطة ؟

– لم لا ؟ يمكننا أيضاً التزحلق على الجليد . أراهن على أنك ماهرة فى التزحلق .

– ما الذى يجعلك تعتقد ذلك .

– أنت تذكرينى بصديقة كنا نطلق عليها « رعب الثلج » .

وضعت « نانسى » فى حقيبة كل الملابس التى ستحتاج إليها فى رحلتها . وبعد ساعة ، ركبا سيارة « دافيد » وسلكا الطريق فى اتجاه الجبال .

كان أمامهم خمس ساعات فى الطريق . وسيتوفر لديهم الوقت ليتزحلقا حتى حلول الليل وأن يعودا صباح يوم الخميس . بما أن «نانسى» ستقابل « رولاند » بعد ظهر هذا اليوم .

اعترفت « نانسى » بأنها لم تمارس التزحلق فى حياتها .

طمأنها « دافيد » وأكد لها أنه معلم ممتاز ، وعلى أية حال لن يمكثا إلا بضع ساعات . فما الذى تخشاه ؟

ثم .. انتهت هذه الساعات بكارثة ! ..

صرح لها الطبيب :

– أنت محظوظة ، إنه كسر بسيط . سأضعها فى الجبس مدة أسبوع .

صاحت « نانسى » فى ذعر وهى تتأمل الجبس الذى يحيط بساقها اليمنى .

– أسبوع .

لكن يجب أن أستطيع السير على قدمىَ غداً !

قال الطبيب :

– ليست هناك مشكلة يا آنستى .

رفع عينيه نحو « دافيد » الذى كان يقف أمام الباب مكتوف الذراعين ، وقاطباً حاجبيه .

وشرح له الطبيب .

– يمكنها السير بالاستعانة بعكاز . يجب أن تستأجر اثنين من الصيدلية التى فى حيكم . ولتخرج من هنا .. سأطلب من الممرضة إحضار كرسى متحرك .

صاحت « نانسى » فى تعجب عندما خرج الطبيب :

– عكازين ! كيف لى أن أواجه « ستيف » بهذين العكازين ؟

جلس « دافيد » على حافة السرير . دون أن ينطق بكلمة .

أمسك بيد السيدة الشابة . وهزت تلك الأخيرة رأسها فى يأس – هذا كابوس !

فضل « دافيد » أن يتركها تنفثه عن غضبها .

قالت فى تألم :

– لقد كنت حذرة حتى فى أدق التفاصيل . كان يجب أن أذهب إلى مصففة الشعر وإخصائية التجميل . كما كنت أنوى ارتداء ثوبى الحريرى – المفتوح من الجنب .

عبس وجهها ليعبر عن الحزن . وخيبة الأمل .

– كنت أود أن أظهر فى قمة جمالى حتى أجعله يندم على هجرى.

كنت أريد أن أخرج من حياته وأنا منتصرة . وهأنا على وشك السقوط أمامه !

تنهدت فى غضب ، ودفنت رأسها فى الوسادة مغلقة عينيها . هذا ليس عدلاً ! ففى اللحظة التى تستعد فيها لاسترجاع ما قد سلبه منها هذا الرجل الدنىء ، تكسر ساقها .

أمسكت بيد « دافيد » التى على وجنتها ، هل كان قلقاً هو أيضاً بشأن مصير خططهما ؟ إنه لم ينطق بكلمة واحدة منذ أن حملها المنقذون على النقالة .

همس :

– أرجو أن تغفرى لى .

جحظت عينا « نانسى » . ولاحظت لأول مرة أن « دافيد » فى غاية التوتر .

– اصمت .. أنا التى أسقطت كل شىء على الأرض .

تنفس « دافيد » بعمق كما لو أنه يحاول تهدئة ألمه .

لقد فكر أنه كان من المحتمل حدوث ما هو أخطر لمحبوبته . ومهما قالت، فمسئولية إصابتها تقع على عاتقه، فهو من ارتكب الخطأ

الأول باصطحابها إلى هناك . لم يكن ليعرض حياتها للخطر بهذه الحماقة .

لكنها المرة الأخيرة . لن يخاطر أبداً ولو مخاطرة طفيفة بشركة «نانسى» فالحذر هو أصل الأمان .

– إنه خطئى يا «نانسى» لم يكن أى شىء من ذلك ليحدث لو لم اصطحبك إلى هناك .

كانت «نانسى» ستنفجر فى الضحك ما لم يبدو «دافيد» جاداً إلى هذا الحد .

– ألست امرأة ناضجة أستطيع اتخاذ قراراتى ؟

– كانت فكرتى . ووعدتك بأن أكون معلماً جيداً . وتركتك لتكسر ساقك بعد ساعة واحدة .

– هذا صحيح . لقد تفاخرت بمهارتك كمعلم تزحلق على غير حق .

لكن الحقيقة أن أفضل معلم تزحلق فى العالم لم يكن ليمنع هذا الحادث .

دمدم .

يجب أن تثورى ضدى . فلو فعلت هذا فسأشعر بتحسن .

قالت «نانسى» بضحكة قصيرة :

– يبدو أن صحتى تهمك .

انحنى ليطبع قبلة على جبينها .

– تبدين طليقة اللسان على الرغم من كسر ساقك .

– على الأقل نحن متفقان : إننى المسئول الوحيد عما حدث .

– لم يكن يجب علىّ أن أتركك تصعدين إلى هذا المكان المرتفع . كان يجب أن تبقى فى الأماكن المنخفضة .

قالت بعزم :

– أنا من أردت الصعود . لم تكن لتمنعنى .

– ومع هذا ..

– ما كان كعبى ليلتوى لو لم أسقط قفازى فوق الزلاقات .

ماذا لو كنت سمعت كلامك .. انتظرت حتى أصعد ثم ألتقطه .

لكنى حاولت الإمساك به وفقدت اتزانى .

– كنت أستطيع أن أمسك بك .

قالت :

– لو لم أسدد لك ضربة فى فخذك بالعصا .

وما لم يصطدم رأسك بالحاجز عندما سقطت بجواره .

– الحمد لله أن أوقف الفنى المسئول مصعد (الثلاج) قبل أن يمر أحد فوق جسدك .

– ما زلت مندهشة من سرعة تدخل رجال الإنقاذ .

– كان بدون شك بسبب ملابسك الرخوة الفضفاضة .

– بالمناسبة ، ماذا سألبس لأخرج من هنا ؟ لا أستطيع أن ألبس الملابس التى جئت بها بسبب الجبس .

– لا تقلقى ، فى أسوأ الحالات ستخرجين ملتحفة غطاء من أغطية المستشفى .

– كيف حال رأسك ؟

– صداع طفيف . شىء بسيط بالنسبة لساقك . هل تؤلمك ؟

– كلا . ومن ناحيتك هلى تحققت من الثقب الذى أحدثته فى فخذك بعصاى ؟

– لونه أزرق ، ليس هناك ما يدعو للقلق يا « نانسى » .

لكن عضلة فى ساقى تأثرت عندما سقطت .

قالت واعدة .

– سأنتبه فى المرة القادمة .

– هل سيكون هناك مرة قادمة .

– لم لا ؟ كان هذا ممتعاً فحسب .. حتى لحظة ما لكن هناك شيئاً ما :

هل تعتقد أنه ينقصنى المران الجسدى ؟

– أنت فى أحسن حال . مشكلتك أنك لا تنصتين إلى النصائح التى تسدى إليك . عندما أقول لك لا تلتقطى شيئاً فهذا لسبب وجيه .

قالت :

– المرة القادمة سأنصت إليك .

لقد ظنا أنه بسبب هذا الكسر لن تأتى المرة القادمة إلا بعد مرور عدة أشهر . ربما الشتاء القادم .. لكنهما لم يتحدثا فى هذا الشأن ، لقد بدا الشتاء بعيداً جداً .

جاءت الممرضة لتلقى بتعليماتها لـ« نانسى » عن كيفية تناول المسكن . يجب أن تتناول قرصين كل أربع ساعات وأن تتصل بالمستشفى إذا لم يكن ذلك كافياً لتهدئة الألم .

قالت « نانسى » :

– كيف ذلك . سنرحل إلى « لاركسبور » .

قال « دافيد » فجأة .

– كلا ،، سننام فى الفندق الليلة ونعود غداً صباحاً بالطائرة .

– هزت رأسها بحدة .

– لنفترض أنه هبت عاصفة ثلجية ولم نستطع مغادرة المدينة . يجب حتماً أن نكون فى « سان فرانسيسكو » غداً بعد الظهر ..

– انتهى الأمر يا « دافيد » إلى أن تنتبه إلى الحجج التى ساقتها السيدة الشابة . كان لقاؤها بـ « رولاند » ، هو محور خدعتهما له قال :

– لنعد إذن نحن الاثنان اليوم بالطائرة .

– ونترك السيارة هنا ؟ هذا سخف .

– لا تناقشينى فى هذا يا « نانسى » لست فى حالة تسمح لك باحتمال خمس ساعات من السفر فى السيارة . أما بالطائرة فلن تستغرق الرحلة سوى ساعة .

– « دافيد » ، سنهلك نحن الاثنان فى الوقت الذى ستضعنى فى السيارة .

ثم تساعدنى على الصعود إلى الطائرة ثم إلى تاكسى . وعلى العكس ، أما إذا استقللنا سيارتك . ستتوفر لى فرصة أكبر للراحة .

– نظر إليها « دافيد » باهتمام .

– أنت ترفضين ركوب الطائرة ، أليس كذلك ؟

إنى بكل بساطة لا أحب ذلك .

ألم تركبى الطائرة فى حياتك ؟

– كلا .

تنهد « دافيد » معرباً عن استسلامه .

أشارت الممرضة التى تابعت حديثهما باهتمام إلى « نانسى » لكى تجلس على المقعد المتحرك . نقلها « دافيد » بساعديه القويين إلى المقعد المتحرك الذى دفعته الممرضة بطول الردهة، بينما تتبعها «دافيد» وهو يعرج قليلاً . وصلا إلى موقف السيارات ، وفتح « دافيد » الباب الخلفى و« نانسى » ترمقه بغضب .

قال وهو يأخذها بين يديه :

– ستجلسين على الأريكة الخلفية وبذلك يمكنك مد ساقيك.

صاحت « نانسى » :

– كلا ! أبداً ! أصاب بالتوعك عندما أجلس فى الخلف خاصة فى الطرق الجبلية .

بينما وقف « دافيد » مترددا ، هبت ريح باردة فأطاحت بالغطاء الذى يعتلى ساقى « نانسى » .

قالت لتؤكد كلامها وتدفعه لتنفيذه .

– ستغضب حقاً عندما أتقيأ على مقاعدك الجلدية الأنيقة .

– من قال لك إننى لست غاضباً الآن .

– تأمل نفسك.. تبدو وكأنك دب اكتشف أن شجرة العسل المفضلة إليه قد اجتثت ليحل محلها طريق للسيارات .

أكد ، دافيد ، وهو يعلم بفقده المعركة .

– لكنك لن تكونى على راحتك فى المقعد الأمامى . لقد قال الطبيب إنه يجب أن تبقى ساقك مفرودة .

– أوجد إذن شيئاً أستطيع أن أريح عليه قدمى . فأنا لن أسافر معك وأنا على الأريكة الخلفية .. تركها ، دافيد ، تضع ساقها السليمة على الأرض وتستند إلى الباب . ثم شرع هو فى البحث عن شىء يضعه تحت ساقها ثم ساعدها على الجلوس .

– هل أنت بخير هكذا ؟

أجابت وهى تتكئ على مسند المقعد .

– تماماً ، شكراً .

أغلق ، دافيد ، الباب وجلس مكان السائق.. لقد نامت ، نانسى ، قبل أن يغادرا المدينة ومن المحتمل أن يكون ذلك تحت تأثير المهدئات .

– توقف ، دافيد ، فى الطريق لشراء ثلاث وسادات كبيرات ليضعهن بحرص داخل الحقيبة التى تريح ، نانسى ، ساقها فوقها . فظهر على وجهها تعبير بالاسترخاء .

وفى طريق العودة ، تذكر ، دافيد ، أنها لم تبك مرة واحدة :

حتى وقت أن سقطت ، حتى وقت أن فحص الطبيب ساقها ثم وضعها فى الجبس .

وخلال وقت المعالجة رفضت تماماً أن تترك يد ، دافيد ، وهددت بالصراخ حتى الموت إذا ما أجبرها أحد على ذلك .

مما جعل الطبيب يسمح لـ ، دافيد ، بالبقاء فى الحجرة معها .

ابتسم عندما نظر إلى رفيقة دربه وهى نائمة على المقعد المجاور. لقد قالت له يوماً ما إنها تعتبر نفسها خاسرة منذ أن احتال عليها «رولاند ، أما الآن فهو يعرف جيداً أنه أمام مصارعة حقيقية .

* * *

الفصل الثانى عشر

جلس ، دافيد ، على مقعد المطبخ يتفحص وجه ، نانسى ، المفعم بالعزم . لقد فهم أنها لن تتنازل عن حقها قيد أنملة .

كانت تجلس على الأريكة ، وساقها الموضوعة فى الجبس ممدة على المنضدة المنخفضة ، كانت ترتشف قدح القهوة وهى تنظر إلى محاميها وصديقها نظرة تحدّ بينما أخذ هو يروح ويغدو أمامها .

جلس ، ريتشارد ، يتتبع الحديث وقد حاول ، فيكتور ، بمشقة أن يحتفظ بهدوئه الأسطورى . كان قد وصل منذ حوالى الساعة ، بعد «ريتشارد» تماماً .. لقد أسرع الاثنان بالحضور عندما علما أن السيدة الشابة ليست فى أحسن حالاتها للقيام بدورها .

لقد وصل ، دافيد ، و ، نانسى ، البارحة قرب منتصف الليل . ولقد نجحت فى أن تستسلم للنوم فى فترات كبيرة من رحلتهما .

وعندما فتحت عينيها لم يكونا إلا على بعد خمسين كيلو متراً من المنزل . كما رفضت أن تتناول الأقراص قبل أن تدخل فى الفراش وحجتها فى ذلك أنها تريد أن تكون مستيقظة حتى تستطيع صعود درجات السلم .

هل كانت تعتقد أن «دافيد» غير قادر على حملها الآن . مع ذلك ، كان ألمه الناتج عن عضلة الساق أقل حدة من الصداع الذى يصارعه منذ بضع ساعات .

لابد وأن « نانسى » قد لاحظت ذلك ، لقد كان أول شىء فعلته عندما دخلت المنزل أنها أعطته قرص أسبرين .

لم يكن الليل مضجراً بالنسبة لـ « نانسى » . فقد تمددت على سريرها ، وابتلعت أقراصها وراحت على أثرها فى سبات عميق . أما « دافيد » فقد شعر بواجبه نحو فتاته فسهر عليها ولم يغمض له جفن وهو بجانبها .. وعندما طلع النهار ، لم يقاوم النعاس بينما استيقظت «نانسى » وبدت منتعشة وتتصرف بحكمة ومهارة وتبدو وكأنها تأقلمت على إصابة ساقها .

الآن قبل لقاء « ريتشارد » و « ستيف » وتوقيع العقد بساعتين ، كانت « نانسى » تجلس فى الصالون وتبدو وكأنها تسيطر على الموقف .

لابد أن يعترف « دافيد » بأن « نانسى » تستطيع إظهار قوة بأسها عند الحاجة . بينما كانت تشعره بأنه هو من يتخذ القرار .

قال « فيكتور » فى محاولة أخيرة :

– سأذهب أنا لمقابلة « رولاند » . لقد تناقشت مع « دافيد » فى ذلك .

فليس لدى « رولاند » أى سبب حتى لا يصدقنى .. ستتاح لى فرصة أكبر حتى أقنعه بأن « ريتشارد » من أباطرة المخدرات .

– لماذا كل هذا ؟ فبعد كل شىء ، أنت محام . والجميع يعرف أن المحامى كذاب أشر .

دخل « دافيد » وهو يحمل قهوة تفوح رائحتها إلى الصالون .

– لا داعى للتجريح .

ابتسمت « نانسى » معتذرة ، ولكن مع احتفاظها بعزمها :

– لم أقصد إهانتك على وجه الخصوص يا « فيكتور » ، لكن ضع نفسك مكان « ستيف » . إنه يعرف أنك ساعدتنى فى المحاولة لاسترجاع شركة « حلوى أماندين » . لن يصدق كلمة مما ستقصه عليه .

– ولماذا يصدقك أنت ؟

– لأنى سأستخدم سلاحى السحرى . فأنا أدرى الناس بكيفية التأثير على « ستيف » .

ضحك « فيكتور » ساخراً ، لكن كان لابد أن يعترف أنها سجلت نقطة لصالحها ، ولأول مرة منذ مجيئه . تدخل « ريتشارد » فى

الحديث يجب أن تقوم ، نانسى ، بهذا الدور بما أنها تعتقد فى قدرتها على ذلك ، فلا يجب علينا إذن إضاعة المزيد من الوقت . وفى رأيى ستكون أكثر مصداقية من ، فيكتور ، .

ابتسمت ، نانسى ، وقالت :

– شكراً يا ، ريتشارد ، .

ازدادت ، نانسى ، قوة لمساندة ، ريتشارد ، والتفتت نحو «فيكتور» و«دافيد» .

– لن أكون أنيقة طبعاً كما كنت أتمنى.. لقد ازدادت الأمور صعوبة بإصابة ساقى لكننى لا أرى سبباً لكى تفشل خطتنا .

أولاً ، اتفقنا على أن أقابل ، نانسى ، بالمصادفة إما أمام البنك ، وإما أمام مكتبه بعد الظهر .

دقت السيدة الشابة عى الجبس .

– هذا التصور لا سبيل له بسبب هذين العكازين . لا أريد أن أنتظر واقفة مدة ساعات فى الشارع .. ولا أريد المخاطرة بأن أدفع لأسقط على الرصيف .

بعد أن انتهى ، دافيد ، من صب القهوة فى جميع الأقداح ، جاء ليجلس بجانب ، نانسى ، .

– من ناحية أخرى يجب تدبير هذا اللقاء . فمن الممكن أن يتظاهر ، ستيف ، بعدم رؤية ، نانسى ، إذا استطاع ذلك .

يجب أن نعتمد على مواجهة مفاجئة حتى ندفعه ليصرح لك بأخباره الجديدة وتعاقده مع فنادق ، براديز ، .

جلس ، فيكتور ، فى مواجهتهما .

– يجب إذن أن يتقابل ، رولاند ، مع ، نانسى ، فى ساعة محددة وفى مكان محدد حتى لا تنتظر طول النهار . كما يجب أن ندبر الأمر بحيث لا يستطيع تجاهلها .

بينما أخذ الجميع يفكرون ، وقعت عينا ، نانسى ، على العكازين .

نبتت فى ذهنها فكرة .. إنها خطة لا مجال لفشلها .

قال ، دافيد ، .

– فيم تفكرين يا ، نانسى ، ؟ ما تدبرين فى هذا الرأس الجميل ؟

– هل تعرف ماذا ؟ أعتقد أنى توصلت لفكرة سيكون حليفها النجاح .

وعندما شرحت خطتها بالتفصيل اعترف جميع شركائها . وبينهم ، فيكتور ، بذكائها .

قام « ريتشارد »، ببعض التعديلات الطفيفة على خطتها ، ثم ذهب ليلقى « رولاند » . وذهب المحامى إلى مكتبه وهو مازال يدمدم .

أحضر « دافيد » الأقراص الخاصة بـ « نانسى » ، ثم حملها إلى غرفتها حتى تأخذ قسطاً من الراحة قبل أن تقوم بدورها الذى تحدد موعده فى الرابعة . لم تعترض « نانسى » ووافق « دافيد » أن يستلقى بجانبها .

لقد كان هو أيضاً يحتاج إلى النوم ..

دق جرس التليفون فى الساعة الواحدة بعد الظهر .

رفع « دافيد » السماعة ، سمع محدثه دون أن يتكلم ثم وضع السماعة .

واستدار نحو السيدة الشابة التى كانت قد استيقظت منذ الرنة الأولى للتليفون .

– لقد وقع .

– صحيح ؟

– بالتأكيد . سيعاود « ريتشارد » مقابلته فى الساعة الثالثة .

كان هذا اللقاء الثانى فكرة « ريتشارد » . وكانت حجته فى ذلك هى مناقشة بعض النقاط فى عقد هما مثل : ديكور المحلات ، واختيار العمالة .

فى الحقيقة ، فكر « ريتشارد » فى أن يسهل مهمة « نانسى » ، ويسوق إلى « رولاند » من القول مما يجعله يصدق بسهولة قصة «نانسى » عن ارتباط فنادق « براديز » بمروجى المخدرات . سيصر أمام « رولاند » على أن يتولى أحد أولاد أعمامه إدارة المحل الأول من مجموعة محلات « حلوى أماندين » التى ستفتتح فى سنغافورة .

سيستطيع « ريتشارد » إيجاد الحجج لإقناع شريكه الجديد .

وبعد ذلك ، عندما تأخذ اتهامات « نانسى » طريقها إلى ذهن «رولاند » أول ما سيتذكره « رولاند » هو إصرار « ريتشارد » على تعيين هذا المدير بالذات .

لقد حدد الموعد فى الفندق الذى نزل فيه « ريتشارد » فى المشرب القابع فى الدور الأرضى . كان يجب على « نانسى » أن تنتظر فى ركن حتى ترى « دافيد » عابراً . وهذا الأخير سيسبق «ستيف » ببضعة أمتار .

وستجد « نانسى » استخداماً جديداً لعكازيها .

كان قلبها يخفق بشدة . كل شىء يسير حسبما خططوا له .

لكنها تذكرت فجأة الجزء الثانى من الخطة فأصابها الفزع :

– والنقود ؟ كيف تتأكد من أنه أودعها فى البنك قبل الساعة الرابعة ؟

أجابها ، دافيد ، وهو يقبل طرف أنفها :

– من هو ، فريد ، ؟

– مخبر خاص استأجرته لمراقبة ، رولاند ، .

كررت :

– مخبر خاص ؟ لماذا بحق السماء ؟

– احتياط بسيط . حتى لا يأخذنا ، رولاند ، على غرة .

– لماذا لم تحدثنى عن ذلك ؟ على أية حال ، استخدام مخبر خاص ليس فيه ما يضير يجب ألا نترك شيئاً للمصادفة .

– فكرت أنه ليس من المهم إخبارك بأمر هذا المخبر .

– تقصد أنك لم ترد أن تتشاجر معى بسبب هذا الموضوع .

– كم سيكلفنى هذا المخبر ؟

أجابها ببراءة بالغة .

– راتبه ضمن الأربعة آلاف والخمسمائة دولار التى أردت تركها فى ، تاهوى ، . أليس هذا جيداً . ثم طرأت ذهنها فكرة أخرى.

– ألا تخش أن يتصل ، ستيف ، بالاستعلامات بدلاً من أن يثق فى الرقم المدون على بطاقة ، ريتشارد ، ؟ إن هذا النوع من التفاصيل البسيطة هو الذى يتسبب فى إخفاق أذكى الخطط .

– ، نانسى ، ، على المرء أن يخاطر عندما يكون الأمر يستحق .

فلا يعرف المجد إلا من ركب المخاطر . ومن ناحية أخرى ، لقد تخطينا معظم العقبات.. ونحن الآن فى النزال ضد ، رولاند ، فلا تشغلى بالك فى تلك اللحظات المتبقية .. إن ، ريتشارد ، يمسك جيداً بزمام الأمور .

– أنا لست قلقة على ، ريتشارد ، . أتصور أن قلقى .. عام . لقد مضت الأمور بسرعة فى هذه الأيام الأخيرة .

– ذكرها :

– فى الأسبوع الماضى كنت تنظرين وقد نفد صبرك وترغبين الانتهاء من ذلك العمل . لكنك أكثرت الآن من الثرثرة . يجب أن تأخذى حماماً وتلبسى . فبعد كل ما بذلناه من جهد يجب ألا تتأخرى وتخسرى كل شىء .

أخرجت ، نانسى ، إليه لسانها . كانت تكره أن تعترف بأنه على حق .

نظرت ، نانسى ، إلى ساعة معصمها وعلى الرغم من توصيات «دافيد» ، ألقت بنظرة فى صالة الاستقبال على المشرب ، فلم تر أحداً قادماً .

كان يتبقى أمامها خمس دقائق ثقيلة . استندت ، نانسى ، إلى الحائط وتنهدت معبرة عن نفاد صبرها . فأحضر ، دافيد ، إليها مقعداً لكن عصبيته منعتها من أن تظل جالسة .

وشعرت أن الجميع ينظرون إليها بإلحاح . وقعت عيناها على تليفون مثبت فى الحائط : فأرادت أن تتصل بـ ، دافيد ، وتخبره بأنها تخلّت عن كل شىء وأنها لا تستطيع أن تقوم بهذا الدور .

سيكتشفها ، ستيف ، دون عناء . كان يجب أن تنصت إلى «فيكتور» .

ولكنها سرعان ما تذكرت أنه حتى الممثلات المشهورات لهن جمهور ينظر إليهن بإلحاح .

تركها ، دافيد ، مبكراً ربع ساعة ليأخذ مكانه فى المشرب .

وأصر على أن تظل فى خفية عن الأنظار .. من الممكن أن يرحل ، رولاند ، مبكراً .

لم تستطع ، نانسى ، الصبر . ألقت بنظرة جديدة على الصالة .

لم يبد شىء فى الأفق .

لقد عدلت عن ارتداء ثوبها الحريرى خوفاً من أن تفسده بعكازيها .

ولبست جيباً تظهر الجبس الذى يغلف ساقها . لقد أصر ، دافيد ، على هذه النقطة : لا يجب أن يتشكك ، رولاند ، فى أن ساقها مكسورة حقاً ، وإلا سيضع إبهامه فى أذنه ولا ينصت إليها .

نظرت ، نانسى ، مرة أخرى إلى ساعتها . إنها الساعة .

لقد قاومت بشدة رغبتها فى أن تنظر إلى البار . كانت تخشى أن يفاجئها ، دافيد ، وهى تخل بأوامره .

لقد تبينت فجأة أن مقعدها بعيد عن الممر . فوضعها هذا لا يسمح لها بأن تستند إلى ظهر المقعد وتمد طرف عكازها نحو قدمى «ستيف» .

* * *

الفصل الثالث عشر

استدار « دافيد » . لم يسعه الوقت إلا ليلقى بنظرة سريعة نحو «نانسى » ، وكان من شأن تلك النظرة أن يثبت فيها شجاعة كبيرة . وبدأ العد التنازلى لتدخل « نانسى » فى المشهد :

ثلاث ، اثنان ، واحد .. ابدئى !

أغلقت « نانسى » عينيها ومدت طرف عكازها إلى الممر ثم حدث اصطدام تبعه سباب وكلمات تعبر عن المفاجأة .. وأخيراً سقوط جسم ثقيل .

ثم لحظة أخرى وسمعت صوت جسم آخر .

وعندما استدارت لترى حجم الخسائر تبينت أنها أسقطت عصفورين بحجر .. لقد سقط « ستيف » أولاً ثم تبعه « ريتشارد » الذى وجدته يمتطى ظهر « ستيف » على الأرض .

فكرت « نانسى » وقد أصابها الفزع وتمنته لو أن « ريتشارد » لم يصب بأذى إنه لن يسامحها على هذا .

وفجأة ، ظهر رجل لا تعرفه من حيث لا تدرى ، مد إليها يده بالعكاز الذى تركته يسقط . وفى أثناء ذلك غمز إليها بعينه .

اندهشت «نانسى» أولاً ثم فكرت فى أنه «فريد» المخبر الخاص بالتأكيد .

نهض «ريتشارد» وحاول أن يوارى نظرة تنقد غيظاً كان من المفترض أن يوجهها إلى «نانسى» وأخذ يصلح من هندامه .

كان «ستيف» مازال منبطحاً على الأرض يسب ويدمدم .

صاحت «نانسى» :

- أوه «إلهى» أنا آسفة جداً . إنى محرجة للغاية .

لم أقصد ذلك هل تستطيع النهوض ؟

دمدم وهو ينهض على ركبتيه .

- بالتأكيد أستطيع أن أنهض .

أوشكت «نانسى» على أن تسدد له ضربة فى عنقه ، ولكن بادرها «ريتشارد» وضغط على يدها ليحثها على الهدوء . ثم راح ينخرط فى الجمع .

وقال :

- ليس هناك شىء .. حادث بسيط دون أى خطورة . تمتمت «نانسى» ببعض كلمات الاعتذار وهى تحاول أن تستعيد توازنها بصعوبة مستعينة بعكازها .

تعجب «ستيف» وهو ينهض :

- «نانسى» ! لكن ما هذا ؟! ..

نظر إليها عدة مرات من رأسها حتى قدميها ، كما لو أنه قد اكتشف شبحاً .

قالت وهى تتظاهر بدورها بالمفاجأة :

- «ستيف» ! لو أنى عرفت أنك أنت المار لما اكتفيت بسقوطك .

قال عابساً :

- لقد فعلت ذلك عمداً ، ها ؟

أجابت بسخرية :

- بالتأكيد ، فعلت ذلك عمداً ، إنى أنتظرك خلف هذا الحائط منذ نصف ساعة لأدحرجك فوق هذه السجادة . لا تختلق الأوهام يا «ستيف» .. كيف لى أن أعرف بمرورك من هذا المكان وفى ذلك الوقت ؟

فضل «ستيف» أن يغير الموضوع فقال :

- ماذا حدث لك ؟

نظرت إليه شذراً .

- دعنى وشأنى يا «ستيف» . قد صادفنى العديد من المشكلات هذا الأسبوع ، حتى إننى لا أستطيع أن أضيع معك مزيداً من الوقت الآن .

همّ ، ريتشارد ، بالمضى فى طريقه تاركاً ، نانسى ، وشأنها كما طلبت منه ، فكادت أن تفزع ماذا تفعل الآن والعصفور ينفلت من بين أصابعها !

تظاهرت بأنها قد لاحظت وجود ، ريتشارد ، معه وأخذت تتفحصه بفضول .

وبادرته :

– هل تقابلنا من قبل ؟

جحظت عينا ، ريتشارد ، ثم أجابها .

– ، نانسى ستيوارت ، ! بالتأكيد لقد تقابلنا من قبل .

وقف ، ستيف ، واجماً وقد ارتسمت على وجهه علامات الاستفهام .. التفت ، ريتشارد ، نحوه .

– لقد تقابلت مع الآنسة ، ستيوارت ، العام الماضى عندما .. توقف عن الكلام وقد بدا عليه التوتر ثم تردد قليلاً قبل أن يرفع كتفيه ويقول :

– لقد تعارفنا وقت أن كانت الآنسة هى المالكة لشركة ، حلوى أماندين ، ولم يبق عرضنا أى قبول لديها ..

صاحت ، نانسى ، :

– أنت !

لم تكن مستعدة لهذا التغيير المفاجئ فى السيناريو . لم تجد ما تنطق به . فاكتفت بترديد كلمة :

– أنت !

أمسك ، ريتشارد ، يد ، ستيف ، وشدد عليها .

– لدى موعد آخر يا ، رولاند ، . اتصل بسكرتيرتى فى سنغافورة إذا أردت أى استفسار .. الآن سأعلم أفراد مجموعتى أن عملنا يسير بنجاح .

واختفى دون أن يترك لمحدثيه الفرصة ليبقياه .

– ماذا بك يا ، نانسى ، ؟ لم يكن هناك بد من أن تعامليه بهذا العداء . إلى هذه الدرجة لا يعجبك ؟ أم هو الذى لم يجدك الفتاة المناسبة .

سددت إليه ضربة بعكازها فى ساقه . نتجت عنها صرخة ألم وقفز مبتعداً ماسكاً ركبته .

– إن ذهنك مشوش يا ، ستيف ، فلم تعد قادراً على تمييز الأمور ، ليس لأنك أغويتنى مرة فيكون معنى ذلك أن أجرى وراء كل رجل .

– ماذا بك ؟ لم أعهدك بتلك العصبية أبداً .

– هل نسيت اليوم الذى سرقتنى فيه شركة « حلوى أماندين » فلم تكن السعادة تضىء وجهى فى ذلك اليوم .

– على الأقل لم تكونى عنيفة . هل أنت عصبية بسبب الجبس الذى يغلف ساقك .

وضعت « نانسى » حداً لعصبيتها . لم يكن كل هذا مدوناً فى السيناريو فلم ترد أن تخاطر بفقد كل شىء بسبب انسياقها وراء العصبية والاندفاع .

– هذا ليس من شأنك يا « ستيف » أخبرنى عما تدبر أنت وذلك التعس .

– التعس ؟ أنت متخذة موقف ضد هذا الرجل حقاً .

– لا تقل : إنك تنوى قبول عرضه !

– كيف عرفت أنه قدّم لى عرضاً أياً كان ؟

– إن « ريتشارد هوبز » ، ليس من النوع الذى يضيع وقته مع رجل مثلك إلا إذا بلغت استفادته ذروتها . هل حدثك عن رغبة سلسلة فنادق « براديز » فى فتح محلات . « حلوى أماندين » ؟ أجبنى يا « ستيف » . هذا مهم للغاية .

– ليس هناك الكثير لأقوله . لقد سمعته . فقد وقّعت معهم عقداً .

صاحت « نانسى » :

– يا لك من غبى !

وهددته مرة أخرى بعكازها إلا أنه كان أكثر حذراً من المرة السابقة . فابتعد بسرعة قبل أن تصل إليه .

– هل تبينت أنت فى أى درب تسير وفيم تتورط ؟

ظهر القلق أخيراً على وجه « ستيف » .

أجابها محاولاً إخفاء قلقه .

– ليس لأنك أخفقت فى التعاقد معهم أن أترك بدورى هذا المشروع يهرب من بين يدى .

– يالك من غبى تعس !

ثم خفضت صوتها كما لو كانت تدلى إليه بسر خطير .

– « ريتشارد هوبز » وفنادق « براديز » متورطون حتى النخاع مع أكبر مروجى المخدرات فى المحيط الهادى . ألا تعرف ذلك ؟

تلفت « ستيف » حوله فى ذعر .. ثم سحب « نانسى » إلى أول غرفة وجدها خالية .. استسلمت له « نانسى » كرهاً ، فقد كانت تعرف أن «دافيد» يراقبهما مما أعطاها الثقة .

سألها « ستيف » بعدما أغلق الباب خلفهما :

– عم تتحدثين ؟ إن « ريتشارد هوبز » رجل أعمال فوق كل الشبهات . فبإمكانه أن يرفع عليك قضية تشهير .

– فوق كل الشبهات ؟ ذلك لأنه يرتدى بدلة أنيقة ويعرف القراءة ؟

افتح عينيك يا « ستيف » . إن « ريتشارد » هذا نصاب وإذا فتحت أبواب شركة « حلوى أماندين » أمام فنادق « براديز » فستصبح نصاباً مثله .

سألها بقلق متصاعد .

– كيف عرفت ؟

– كيف عرفت أنك نصاب ؟ لقد اكتشفت ذلك فى اليوم الذى..

إنى لا أتحدث عن هذا ! كيف عرفت أن « هوبز » رجل خطير ؟

لقد طلبت من المحامى الخاص بى أن يستعلم عنه .. ولم يستغرق كثيراً لمعرفة حقيقته المؤسفة . وفررت منه كفرارى من الطاعون .

لم يبد على « ستيف » أنه مقتنع .

– لنفترض أن ما قلته صحيح . فيم اهتمامه بشركة « حلوى أماندين » إلى هذا الحد ؟

– إن لها أهمية كبيرة . ترويج المخدرات ، غسيل رءوس الأموال والتهريب .. كل تلك الأعمال التى من شأنها أن تلقى على كاهلك عشر سنوات فى السجن .

تركته يفكر لحظة قبل أن تعاود الكرة . لم يكن مقتنعاً تماماً ، لكن أملت « نانسى » أن يبتلع الطعم . فمازال فى جعبتها ما يجعل « ستيف » فزعاً مرتاعاً .

قالت :

الحمد لله أنك لم توقع أى ورقة ، فهناك فرصة إذن لإنقاذ شركة « حلوى أماندين » من هذا النصاب بقليل من الخسائر .

– لقد وقعت ، هذا الصباح .

– وقعت على ماذا ؟

أمطرته بالسباب الذى كان مدوناً فى الحوار الذى راجعت عليه مع « دافيد » ثم أضاءت نظرتها بوميض من الأمل .

– يمكنك الخروج من هذا المأزق . اطلب من محاميك تولى هذا الموضوع وبأن تسترد ما دفعته .

نظرت إليه « نانسى » كما لو أنه أعلن إليها خبر وفاة أمه وأبيه .

– كلا لا يمكن أن تكون قد فعلت ذلك !

– بكى .. لقد أخذت النقود .

– ارجعها إليه على الفور .

– لقد وقّع شيكا وأودعته فى البنك ..

تبين فجأة فداحة ما صنع .

– لقد أوقعوك فى الفخ يا « ستيف » : والآن هناك دليل مكتوب . لقد قبلت نقود المخدرات ويمكنهم إثبات ذلك . لن تتمكن من الفرار منهم .

أغمضت عينيها من اليأس .. ثم رمقت « ستيف » بنظرة خالية من الشفقة :

الآن اكتملت مصيبتى : أولاً فقدت وظيفتى ثم كسرت ساقى .. والآن أفقد شركة « حلوى أماندين » كلية .

– ماذا تقصدين ؟ مازلت تملكين أربعين فى المائة من الشركة .

– لم يعد كذلك . أفضل أن أترك نصيبى بدلاً من أن أتورط مع رجل مثل « هوبز » .

دافع « ستيف » عن نفسه قائلاً :

– يمكننى الإفلات أنا الآخر .

لم تعد « نانسى » تستمع إليه .

– ليتنى أستطيع أن أبيع نصيبى قبل أن ينتشر خبر فعلتك وسأطلب فيه ثمناً بخساً ..

– ليس علىَّ إلا الاتصال بسنغافورة وأخبرهم بأننى ..

قاطعته « نانسى » متجاهلة ما يقول :

– ربما كان علىَّ أن أتخلص تماماً من أسهمى فى الشركة .. يجب أن أتحدث مع « فيكتور » فى هذا الصدد سيعرف بالتأكيد كيف يتصرف .

بالتأكيد ستكون سكرتيرة « هوبز » على علم بمكان وجوده سأخبره بأن هناك سوء تفاهم ..

هزَّت « نانسى » رأسها فى حزن :

– كلا ، لست مستعدة نفسياً أن أرتكب هذا الذنب الكبير : أن أبيع نصيبى لشخص لا يحب التعامل مع المافيا .

ومع ذلك إنى أتساءل : ماذا أفعل لأجد مشترياً بدون شكوك ؟

قال « ستيف » متألماً :

– أنا لا أريد التورط مع مروجى المخدرات . دائماً ما أصابتنى المخدرات بالهلع ..

استطردت « نانسى » .

– نعم فعندما أتخلص من كل نصيبى ستتاح لى الفرصة لكى أبدأ من جديد .. فلدى رأس المال .. وعندما يضع البوليس أنفه فى شركة «حلوى أماندين» ستفقد سمعتها فى السوق وأتخلص بذلك من المنافسة .

حاول « ستيف » أن يمنعها من مغادرة الحجرة لكنها أزاحته بإحدى عكازيها .

فقال وقد فقد أعصابه :

– لابد أن « هوبز » مازال فى الفندق لأشرب من دمه . رمقته «نانسى» بنظرة كلها كراهية :

– كف عن الأحلام أيها الغبى بعد أن ينتهى « هوبز » من استغلال الشركة سيجعلك تذرف بدل الدمع دماً .

– لكنى سأشرح له ..

– ماذا ستشرح له أيها التعس ؟؟ أنه متورط حتى النخاع مع المافيا ؟ هل تظن أن « ريتشارد هوبز » ؟ من هذا النوع الذى يتركك تفلت بسهولة ؟

فى تلك اللحظة ، كان وجه « ستيف » قد تحول فعلاً إلى وجه يرتع فيه الخوف .

استقلت المصعد حتى الطابق الثامن حيث طرقت باب الغرفة رقم ٨١٢ .

كان « دافيد » قد قرر أن يمضيا الليلة فى « سان فرانسيسكو » حتى لا يحاول « ستيف » أن يلاحق « نانسى » فى منزلها . كما اعتمد «فيكتور» على سكرتيرته فى ترشيح المكالمات . أما « ريتشارد » فقد

قرر هو الآخر أن يختفى فى الزحام ويعود إلى سنغافورة فى نفس المساء بعد أن يتناول العشاء مع « دافيد » و « نانسى » . وفى خلال فترة الانتظار سيرفع سماعة التليفون ويسترخى بضع ساعات . حتى لو عرف « ستيف رولاند » مكانه فلن يوصله ذلك إلى أى نتيجة .

فتح « دافيد » الباب وتفحص « نانسى » بفضول :

– إذن ! كيف مضى الأمر ؟ لم يستطع « فريد » سماعكما من خلف الباب .

– أعتقد أننا نجحنا . إننى لم أنس الجمل التى حفظتها ، كما أن رد فعل « ستيف » كان كما توقعنا تماماً ..

لقد كان أصفر اللون من شدة الخوف عندما تركته وانصرفت . لقد أخذ الأمر مأخذ الجد . ولكن مهما حدث فعلينا الانتظار إلى الغد حتى نتأكد من النتيجة .

– كنت متأكداً من أنك ستنجحين .

– لكنى كدت أن أهدم كل شىء فى لحظة .

– بالمناسبة ، لقد اتصل « ريتشارد » . لقد قال : إنه يحمل لك أى ضغينة لأنك تسببت فى سقوطه .. لكن بشرط أن تدعيه إلى العشاء هذا المساء .

– وأتصور أنه سيرغب فى العشاء فى أفخم مطعم فى المدينة .

لاحظت ، نانسى ، بسعادة أن ، دافيد ، قد أعدّ لها مقعدها . مقعد المطبخ المستدير الصغير ووضع فوقه وسادة . اقتربت من المقعد وهى تحجل .. وجلست تتنهد فى نشوة .

– لقد حجزت بالفعل منضدة فى مطعم صغير فى الشارع المجاور، إنه قريب من هنا بدرجة كافية حتى لا تتعبى ، وأنيق بشكل كاف حتى نرضى رغبة ، ريتشارد ، .

– إنى مندهشة من أنه لا يزال يريد رؤيتى .

– لقد بدا متضايقا أكثر من أن يكون غاضبا . ماذا قال ؟

– آه ! نعم قد قال : أن أسقط فى الفخ الذى نصبته أنا لنفسى .. إن هذا قمة السخافة .

جلس ، دافيد ، على مسند يد المقعد الذى تجلس عليه ، نانسى ، وأخذ يدها بين يديه .

سألته :

– ألا تريد سماع البقية ؟

هز رأسه :

– أفضل أن أنتظر الغد . لقد شغل ، رولاند ، حيزاً كبيراً من وقتك اليوم .. لنتحدث عن شىء آخر .

عندما رأت عينيه تلمعان ، استشفت ، نانسى ، فكرة الموضوع الذى يريد أن يتحدث عنه ، دافيد ، .. ومع ذلك ، كان هناك شىء آخر فى نظرته : كانت بها حدة تنم عن الجدية والحب .

– ، دافيد ، ، قبل أن تبدأ ، أؤكد لك أننى أحبك . أريدك أن تعلم أننى حتى إذا ما لم أسترد شركة ، حلوى أماندين ، فأنا مدينة لك بالعرفان على كل ما فعلته من أجلى .

– شىء ما يحدثنى أنك تنوين الإخلال بوعدك ..

تنهدت ، نانسى ، وخفضت رأسها .

– تعرف تماماً أن علاقتنا لن تستقيم لنا يا ، دافيد ، . إنك مسافر ، رحّال . أما أنا فلا ..

ابتسم ، دافيد ، ابتسامة حيرت ، نانسى ، .

قالت فى إصرار :

– هل تعرف أننى على حق . لقد تكلمنا عن ذلك المساء الماضى .. لست أهوى المغامرات مثلك .

– ما الذى يجعلك تعتقدين فى ذلك ؟

قهقهت :

– هذا واضح يا ، دافيد ، ! أنا لا أحلم إلا فى تأسيس أسرة ، ومنزل ملك لى .

– وأنـا ؟

– أنت لا تفكر إلا فى رحلاتك البعيدة . أنت ليس لك ولا تريد أن يكون لك . إن أسلوب حياتى سيصيبك بالجنون خلال شهر .

ابتلعت دموعها وانتظرت الإجابة :

– أنت مخطئة يا « نانسى » ، إنى أعتبر أن روح المغامرة تعطى للحياة مذاقاً خاصاً .

– ربما يكون لروح المغامرة هذا الأثر فى الحياة ..

لكن ليس السفر المتواصل.. كيف لك أن تدير عملاً مثلا وأنت فى هذا التنقل المستمر ؟ لنفترض أن هناك عملاً يجب أن أشرف عليه غداً .

– ما الذى تنوين فعله عندما تفتتح شركة « حلوى أماندين » أفرعاً فى جميع أنحاء العالم ؟ هل تتخيلين حقاً أن بإمكانك إدارة كل المحلات ؟

– كلا ، أعتقد أننى سأعين مديراً لكل فرع .

– وكيف ستدبرين أمور بيتك ؟ ستضطرين بدون شك أن تتغيبى عنه عندما تسافرين لمباشرة أعمالك فى الخارج .

قطبت « نانسى » حاجبيها :

– سيكون لى دائماً أسرة حقيقية ، وبيت أسعد بالعودة إليه ربما لا أستطيع أن أعود إليه كل مساء، لكن سيكون موجوداً على أية حال .

ردد « دافيد » ما قالت وهو يفكر :

– بيت أسعد بالعودة إليه . إن هذه الفكرة تروق لىّ كثيراً .

– ماذا تحاول أن تقول يا « دافيد » ؟

جلس « دافيد » على ركبتيه بجانب مقعدها ، وأخذ يدها ووضعها على قلبه ، ليظهر لها أنه لم يشعر فى حياته بمثل هذا الخوف .

كان خائفاً من أن ترفض .

– أحاول أن أقول : إننى لا أستطيع العيش بدونك ، وإننى سأسكن أينما تريدين إذا ما عاهدتنى على أن تحبينى إلى الأبد .

جلست « نانسى » مشدوهة وجاحظة العينين .

– إنى أحبك يا « نانسى » ، وأريد العيش معك .

– العيش معى ؟

تنحنح « دافيد » :

– « نانسى » ، هل تريدين الزّواج بى ؟

لم تستطع « نانسى » النطق ببنت شفة . أما « دافيد » فقد جلس يترقب الإجابة وقد وقع فريسة لتوتر لم يشعر به فى حياته .

لقد كانت « نانسى » تتوقع أى شىء إلا طلب الزواج . لقد كلمها قبل ذلك عن الحب الأبدى لكنها لم تصدقه ، لقد كان هناك الكثير الذى يفرقهما . هل لهذا الكثير أهمية حقا ؟

سألته أخيراً :

– وعملك ؟

– يمكننى الكتابة فى أى مكان بالتأكيد ، سيلزمنى أن أسافر لأحصل على الأخبار وأقوم بالتحقيقات ، لكن ذلك لن يستغرق أكثر من أسبوعين أو ثلاثة فى كل مرة .

أعرف أنك تشعرين بالراحة فى هذا المنزل ، فسنعيش فيه إذن .

اندهشت « نانسى » من هذا التغيير المفاجئ . إنه مستعد ليتنازل عن كل رحلاته التى عاشها ، وعن كل الثقافات التى أثرت فيه . ومع ذلك ، لم ترد « نانسى » منه أن يضحى بموهبته ككاتب وبثرائه الإنسانى .

اعترضت :

– ربما لن يكون لى عمل فى المستقبل ..

– ستجدين عملاً بالتأكيد . وإذا لم تجدى فما قيمة ذلك ؟

لقد كان جدى كريماً على الرغم من أنى لم أحقق آماله فىّ .

يمكننا أن نسافر نحن الاثنان حول العالم دون عناء !

لم يكن هذا ما ينوى فعله بما لديه من ميراث ، لكن إذا كانت هذه هى أمنية « نانسى » فلن يتردد فى ذلك لحظة .

– فى رأيى أن لا قيمة للحياة بدون عمل .

قال :

– أعرف أنك لست من ذلك النوع الثرى الذى يمل العمل .

فأنت تحبين عملك مثلى تماماً .

ظلت عينا « دافيد » تسبحان فى عينى « نانسى » ، كان يخشى أن تنتهى هذه اللحظة السحرية التى تجمعهما .. كان يشعر فى قرارة نفسه أن هذه الفرصة لن تتكرر .

فغداً ستستعيد شركتها ومسئولياتها ، وستكون بدون شك على أتم استعداد لتفرض طلبه .. فغداً بعد ليلة من التفكير ممكن إنكار فكرة سعادتهما المحتملة .

قالت « نانسى » .

– وستظل تحب عملك إلى الأبد .

أجابها مؤكداً .

– إلى الأبد . والآن ليس عليك إلا النطق بكلمة واحدة .

– فى هذه الحالة ، لدى اقتراح آخر .

استقبل ، دافيد ، هذه الإجابة وقد نفد صبره ، ويبدو وكأنها تبعد عن الموضوع الذى انخلع له قلبه .

واستطردت :

– أولاً ، يجب أن تنهض .

– لم تقولى نعم بعد .

قالت وقد اغرورقت عيناها بالدمع .

– نعم إذن . لكن انهض ، أشعر بالألم من أجلك ، ألا تؤلمك ركبتاك .

نهض ، دافيد ، وجلس على حافة السرير فى مواجهة ، نانسى ، ، التى تنفست بعمق قبل أن تستطرد :

– لنفترض أننى استعدت إدارة شركة ، حلوى أماندين ، ألن أستطيع أن أرافقك فى أسفارك ؟ فبعد كل شىء ، كما قلت لتوك ، يمكننى تعيين مدير .

– تسافرين معى ؟

– إذا أردت ذلك . فأسبوعان أو ثلاثة ليس بالكثير . لم لا ؟

قال ، دافيد ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مشرقة .

– لا تشغلى بالك . وماذا سنفعل مع الأطفال إذا كنا سنتغيب شهوراً ؟

– الأطفال ؟

– سيصعب علينا وجودهم فى السفر لكنهم من أولوياتنا أليس كذلك ؟ رددت ، نانسى ، فى سعادة غامرة .

– أطفال .

وفجأة ، ارتسم على وجهها تعبير ساخر .

– أتمنى ألا يؤخر كثيراً هذا الجبس اللعين تحقيق مشروعاتنا .

وشرع ، دافيد ، يؤكّد لها أن حبها كاف لتخطّى الصعوبات التى ستواجههما .

* * *

الفصل الرابع عشر

استقبل « ريتشارد » خبر زواجهما السعيد بابتسامة لطيفة وبعض عبارات التهنئة ، كما أعرب عن دهشته لهذا القرار ومع ذلك .

دعاهما للشراب على نفقته طبعاً .

قال أثناء ما كانوا يحتسون الشراب .

– لقد تلقيت مكالمة هاتفية قبل أن أخرج من الغرفة مباشرة .. قال «دافيد » :

– أعتقد أنه كان عليك ألا ترد على التليفون ؟

– لقد كان « فيكتور » . لقد طلبت منه أن يتصل بى قبل أن أخرج .

وأخذ « ريتشارد » يأكل .

سألت « نانسى » وقد أثارها هدوء « ريتشارد » .

– وماذا إذن ؟

– لديه أخبار عن « ستيف رولاند » .

صاح « دافيد » .

– هل أجاب ، فيكتور ، أيضاً على التليفون !

كيف لخططنا أن تنجح ولا أحد ينفذ ما اتفقنا عليه !

رفع ، ريتشارد ، يده مشيراً إلى ، دافيد ، ليهدئه .

– عزيزتى ، نانسى ، ، لقد حصل محاميك على خطاب موقع أدناه باسم ، ستيف رولاند ، ووفقاً لهذا الخطاب فـ ، ستيف ، يتنازل عن شراء شركة ، حلوى أماندين ، .

غطى صراخ النصر الذى تصاعد من الرجلين على صوت ،نانسى ، ثم قبلت ، ريتشارد ، وبعده ، دافيد ، وأخيراً قبلتهما معاً .

رفع ، دافيد ، كأسه نحو صديقه .. واعترت ، نانسى ، فرحة غامرة فدفنت رأسها فى منشفتها حيث أخذت دموع الفرحة تتدافع ، بل تتراقص على وجنتيها المتوردتين من نشوة الانتصار .

بعد العشاء بينما كان ثلاثتهم يحتسون القهوة ، اكتشفت ، نانسى ، أن ، ستيف رولاند ، ليس الوحيد الذى تم خداعه .

قال ، ريتشارد ، وقد وضع كوعيه فوق المنضدة .

– ما مشروعاتك إذن يا ، نانسى ، بعد أن استعدت شركة ، حلوى أماندين ، ؟

سأستمر فيما بدأته وخلال بضع ساعات سأفتح أفرعاً عديدة فى دول مختلفة . وفى انتظار ذلك .

التفتت نحو ، دافيد ، مبتسمة .

– فى انتظار ذلك هناك العديد من الأشياء أكثر أهمية من صنع البيتى فور .

– هل تفكرين حقاً فى التوسع ؟

صاحت ، نانسى ، ضاحكة :

– نعم بالتأكيد ! لكن ألق بهذا الطعم إلى ، ستيف ، وليس إلىّ ..

لاحظت ، نانسى ، فجأة أن ، دافيد ، يتلوى على مقعده ، لقد أظهر عدم ارتياحه لتغيير الحديث .

– ماذا هنالك يا ، ريتشارد ، ؟

بدا ، دافيد ، كالطفل الذى فعل فعلة يستحق عليها العقاب .

أجاب ، ريتشارد ، .

– لقد كانت فكرتى فعندما اتصل ، دافيد ، بخصوص تلك الحيلة الصغيرة ، اقترحت عليه أنك ستقبلين الأمر بصورة أفضل إذا ما فكرت فى أننا جميعاً نمثل .

أجابت ، نانسى ، .

– أنا لا أفهم شيئاً أتحاول أن تقول لى: إنك مروج مخدرات فعلاً ؟

ابتسم ، ريتشارد ، .

– كلا . على العكس : فأنا لا أعمل فى الاستيراد والتصدير ..

أجابت :

– بالتأكيد أنت لا تعمل بهذا المجال . لقد فهمت ذلك منذ البداية أياً كان عملك تاجر سيارات أو رجل فضاء متقاعد أريد أن أعرف الحقيقة .. إن الفضول يقتلنى .

سعل « دافيد » بعصبية وأشار إلى النادل بأن يحضر الحساب دون تأخير .

فقال « ريتشارد » مستطرداً :

– أنا المالك الحقيقى لفنادق « براديز » .

– ماذا ؟

أكد « دافيد » وهو ينظر لصديقه شذراً .

– صاحب ومدير عام فنادق « براديز » .

كان يعرف أن « نانسى » ودت لو تقتلع عينيه لما بدر منه من كذب .

صاحت فى وجه « دافيد » .

– لماذا أخفيت عنى الحقيقة ؟

– لقد كانت فكرته .

تدخل « ريتشارد » .

– على أية حال ليس لهذا شأن فيما سأقوله لك الآن .

– هذا يعنى أنك لم تسرق أوراقاً مطبوعاً عليها اسم الفندق ؟

– هذا صحيح .

– والسكرتيرة التى ردت على التليفون ..

– كانت سكرتيرتى .

– كيف قبلت إذن ، أنت رجل الأعمال المحترم الذى يرأس شركة كبيرة أن تشترك فى مثل هذه اللعبة .. لقد أهدرت وقتا ثميناً فى تمثيل دور مروجى المخدرات ..

أكد لها :

– أنا لم أهدر وقتى أبداً . بل على العكس .. والآن ألا سمحت لى بأن أتحدث .. يجب أن أرحل إلى المطار خلال عشر دقائق وأريد أن أسألك سؤالاً .

قال « دافيد » و « نانسى » فى صوت واحد :

– ماذا إذن ؟

– ما رأيك فى افتتاح محل تابع لشركة « حلوى أماندين » فى أحد فنادقنا ؟

قال « دافيد » وهو يغلق باب غرفتهما :

– أؤكد لك يا « نانسى » أن « ريتشارد » لم يفاتحنى فى ذلك الموضوع وأنه ليست لدى أدنى فكرة عنه .

قالت « نانسى » وهى تضع العكازين جانباً لتستلقى على السرير .

– بالطبع لا .. فأنت لست على هذه الدرجة من المكر لتفكر فى مثل هذه الخطة .

www.elromancia.com

- من ناحيتى أنا لا أستبعد أنك فعلت كل ذلك من أجل بلوغ هدفك.. بالأمس كانت شركتك مسلوبة واليوم ترأسين شركة دولية .

قال « دافيد » والسعادة تغمره :

- أتذكرين ذلك اليوم الذى قابلتك فيه فى « تاهوى » .

لقد شعرت عندما نظرت إلى من أعلى المائدة أننى أعرفك منذ وقت بعيد .

قهقهت « نانسى » :

- نعم إنى أذكر ذلك اليوم بالتأكيد .

- لقد اعترفت لى بأنك شعرت بنفس الإحساس فلا تنكرى ذلك الآن . لقد رمى كيوبيد قلبينا بسهامه فى نفس اللحظة .

- إنك أنت و« ريتشارد » من كذبتما على .

- هذا ليس خطئى ! لقد أراد هو أن ..

- لا علينا مما أراد « ريتشارد » لنفكر فى أنفسنا .. أتمنى أن تحبنى يا « دافيد » .. إلى الأبد .

- أعدك يا « نانسى » .

يجب أن نتدرب بجدية على صنع البيتى فور والحلوى بكل أنواعها ..